سورة الإسراء
مكيـة
وآياتها عشر ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)

شـرح الكلمـات :

سبحان : أي تنزه وتقدس عن كل مالا يليق بجلاله وكماله وهو الله جل جلاله.

بعبده : أي بعبده ورسوله محمد ﷺ.

من المسجد الحرام : أي الذي بمكة.

إلى المسجد الأقصى : أي الذي ببيت المقدس.

من آياتنا : أي من عجائب قدرتنا ومظاهرها في الملكوت الأعلى.

معنى الآية الكريمة :

نزه الرب تبارك وتعالى نفسه عما نسب إليه المشركون من الشركاء والبنات وصفات المحدثين، فقال: ﴿سبحان[1] الذي أسرى[2] بعبده﴾ أي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي العدناني «ليلاً من المسجد الحرام» أي بالليل من المسجد الحرام بمكة إذ أخرج من بيت أم هانىء

---

(١) روي أنّ طلحة بن عبيد الله الفيّاض أحد العشر المبشرين بالجنة سأل رسول الله ﷺ عن معنى سبحان الله فقال: (تنزيه الله عن كل سوء) وأسرى: فيها لغتان: أسرى وسرى فصيحتان، وجمع اللغتين في بيت واحد هو:

حيّ النضيرة ربّة الخدر أسرت إليّ ولم تكن تسري

وقيل: أسرى من أوّل الليل، وسرى من آخره، والاسراء، والسُّرى: سير الليل.

(٢) قالت العلماء: لو كان هناك اسم للنبي ﷺ أشرف من اسم عبد لسمّاه به في هذه الحال العليّة، وفي معناه قال الشاعر:

ياقوم قلبي عند زهراء يعرفه السامع والرائي

لاتدعُني إلّا بياعبدها فإنه أشرف أسمائي

وغسل قلبه بماء زمزم وحشي إيماناً وحكمة، ثم أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بيت المقدس، وأخبر ﷺ أنه جمع الله تعالى له الأنبياء في المسجد الأقصى وصلى بهم إماماً فكان بذلك إمام الأنبياء وخاتمهم ثم عرج به إلى السماء سماء بعد سماء يجد في كل سماء مقربيها إلى أن انتهى إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ثم عرج به إلى أن انتهى إلى مستوى سمع فيه صرير الأقلام وقوله تعالى: ﴿الذي باركنا حوله﴾ أي حول المسجد الأقصى[1] معنى حوله خارجه وذلك بالأشجار والأنهار والثمار أما داخله فالبركة الدينية بمضاعفة الصلاة فيه أي أجرها إذ الصلاة فيه بخمسمائة صلاة أجراً ومثوبة وقوله تعالى ﴿لنريه من أياتنا﴾ تعليل للاسراء والمعراج وهو أنه تعالى أسرى بعبده وعرج به ليريه من عجائب صنعه في مخلوقاته في الملكوت الأعلى، وليكون ما علمه من طريق الوحي قد علمه بالرؤية والمشاهدة. وقوله تعالى ﴿إنه هو السميع البصير﴾ يعني تعالى نفسه بأنه هو السميع لأقوال عباده البصير بأعمالهم وأحوالهم فاقتضت حكمته هذا الاسراء العجب ليزداد الذين آمنوا إيماناً وليرتاب المرتابون ويزدادون كفرا وعناداً

هداية الآية الكريمة:

من هداية الآية الكريمة:

١ - تقرير عقيدة الإسراء والمعراج بالنبي ﷺ بالروح والجسد[2] معاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم إلى السماوات العلى، إلى مستوى سمع فيه صرير الأقلام وأوحى إليه تعالى ما أوحى وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس.

٢ - شرف المساجد الثلاثة: الحرام، ومسجد النبي ﷺ، والمسجد الأقصى أما المسجدان الحرام والأقصى فقد ذكرا بالنص وأما مسجد الرسول ﷺ فقد ذكر بالاشارة والإيماء[3] إذ قول الأقصى يقتضي قصياً، فالقصي هو المسجد النبوي والأقصى هو مسجد بيت المقدس.

٣ - بيان الحكمة في الاسراء والمعراج وهي أن يرى الرسول ﷺ بعيني رأسه ما كان آمن به وعلمه من طريق الوحي فاصبح الغيب لدى رسول الله شهادة.

---

(١) المسجد الحرام: اول مسجد بني في الأرض، ويليه المسجد الأقصى والزمن بينهما أربعون سنة، والمسجد النبوي بني بعدهما بقرون طويلة، فهذه الثلاثة أشرف المساجد على الإطلاق وعليه فمن نذر صلاة فيها وجب عليه الوفاء بالصلاة فيها، ومن نذر الصلاة في مسجدٍ غيرها جاز أن يصلي في أي مسجد آخر.

(٢) لا قيمة للقول بأنّ الإسراء كان بالروح فقط إذ لو كان بالروح لكان من المنام، ولما قال تعالى: ﴿أسرى بعبده ليلاً﴾ ولما قالت أم هانيء: لاتحدّث الناس فيكذبوك، ولا فضل أبو بكر بقلب الصديق ولا ما أمكن قريشا التشنيع والتكذيب، ولما ارتد أفراد عن الإسلام بتشنيع قريش، وأما إطلاق لفظ الرؤيا على المنام خاصة فليس بذاك إذ قد يطلق لفظ الرؤيا على الرؤية في اليقظة، وأعظم دليل في قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى﴾ أي: رأي الرسول جبريل مرّة أخرى في الجنة في السماء ليلة الاسراء والمعراج كما رآه أوّل مرّة في جياد بمكة.

(٣) حدثنا شيخنا الطيب العقبي خريج المسجد النبوي الشريف: أنّه ألقى كلمة في الروضة بالمسجد النبوي ففتح الله تعالى عليه فذكر أنّ المسجد النبوي أشير إليه في آية الاسراء فهو إذاً مذكور في القرآن بالإيماء كما ذكرت في التفسير.

وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ
هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا
عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ
وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾

شــرح الكلمات :

وآتينا موسى الكتاب : أي التوراة.

وجعلناه هدى : أي جعلنا الكتاب أو موسى هدى أي هادياً لبني إسرائيل.

وكيلا : أي حفيظاً أو شريكاً.

من حملنا : أي في السفينة.

وقضينا : أي أعلمناهم قضاء نافيهم

في الكتاب : أي التوراة.

علواً كبيراً : أي بغياً عظيّما.

أولاهما : أي أولى المرتين.

فجاسوا خلال : أي ترددوا جائين ذاهبين وسط الديار يقتلون ويفسدون.

وعداً مفعولا : أي منجزاً لم يتخلف.

معنى الآيات :

يخبر تعالى أنه هو الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وأنه هو الذي آتى موسى الكتاب أي التوراة فهو تعالى المتفضل على محمد ﷺ وعلى أمته بالإسراء به والمعراج

وعلى موسى بإعطائه الكتاب ليكون هدى وبياناً لبني إسرائيل فهو متفضل أيضاً على بني إسرائيل فله الحمد وله المنة.

وقوله: ﴿جعلناه﴾ أي الكتاب ﴿هدى﴾ أي بياناً لبني إسرائيل يهتدون إلى سُبُل الكمال والإسعاد وقوله: ﴿ألا تتخذوا من دوني وكيلاً﴾ أي آتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل من أجل ألا يتخذوا من غيري حفيظاً لهم يشركونه بي بالتوكل عليه وتفويض أمرهم إليه ناسين لي وأنا ربهم وولي نعمتهم. وقوله تعالى: ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ أي يا ذرية[1] من حملنا مع نوح اشكروني كما شكرني نوح على انجائي إياه في السفينة مع أصحابه فيها، إنه أي نوحاً ﴿كان عبداً شكوراً﴾[2] فكونوا أنتم مثله فاشكروني بعبادتي ووحدوني ولا تتركوا طَاعَتِي ولا تشركوا بي سِوَايَ

وقوله تعالى ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدون في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً﴾ يخبر تعالى بأنه أعلم بني اسرائيل بقضائه فيهم وذلك في كتابهم التوراة أنهم يفسدون في الأرض بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب، ويعلون في الأرض بالجراءة على الله وظلم الناس ﴿علواً كبيراً﴾ أي عظيماً. ولابد أن ما قضاه واقع وقوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولهما﴾ أي وقت المرة الأولى ﴿بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس[3] شديد﴾ أي قوة وبطش في الحرب شديد، وتم هذا لما أفسدوا وظلموا بانتهاك حدود الشرع والإعراض عن طاعة الله تعالى حتى قتلوا نبيهم «أرميا» عليه السلام وكان هذا على يد الطاغية جالوت فغزاهم من أرض الجزيرة ففعل بهم مع جيوشه ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿فجاسوا[4] خلال الديار﴾ ذاهبين جائين قتلاً وفتكاً وإفساداً نقمة الله على بني إسرائيل لإفسادهم وبغيهم البغي العظيم.

وقوله تعالى: ﴿وكان وعداً مفعولا﴾ أي ما حصل لهم في المرة الأولى[5] من الخراب والدمار ومن

---

(١) قرىء ذَرية بفتح الذال، وقرىء ذِرية بكسر الذال أيضاً فهي إذاً مثلثة واللفظ مشتق من الذرء، الذي هو الخلق، فيقال: ذرأ يذرأ ذرأ: إذا خلق وفي الآية تذكير بني إسرائيل بواجب الشكر أي أشكروا كما شكر نوح، وفيها تعريض لهم بأنهم إذا لم يشكروا يؤخذوا كما أخذ قوم نوح.

(٢) أثنى تعالى على عبده نوح بكثرة الشكر لأنّ شكور: من صيغ المبالغة معناه كثير الشكر روي أنه كان إذا أكل قال الحمد لله الذي أطعمني، ولو شاء لأجاعني، وإذا شرب قال: الحمد لله الذي أرواني ولو شاء لأظمأني، وإذا اكتسى قال: الحمد لله الذي كساني ولو شاء لأعراني.

(٣) قال: ﴿عباداً لنا﴾ ولم يقل: عبادي لأنهم أهل كفر وشرك وفسق فلم يشرفهم بالإضافة إليه ووصفهم بأنهم من ملكه فسخرّهم لتأديب عباده الذين فسقوا عن أمره وخرجوا عن طاعته.

(٤) الجوس: وهو مصدر جاس يجوس جوساً معناه: التخلل في البلاد وطرقها ذهاباً وإياباً لتتبع ما فيها، والمراد به تتبع المقاتلة لقتالهم.

(٥) في هذه الآيات ذكر مجمل لتاريخ بني إسرائيل بدءاً من دولة يوشع بن نون بعد فتحه لبلاد القدس، وطرد العمالقة منها، وإقامة دولة فيها لأوّل مرة وختاماً بطردهم على أيدي الرومان وذلك سنة مائة وخمس وثلاثين بعد ميلاد عيسى عليه السلام، وقسمت الآيات هذا التاريخ قسمين معبرّة عنه بالمرتين: الأولى بدءاً من دولة يوشع بن نون واستمرّت إلى أن عاثوا في الأرض وفسدوا =

أسبابه كان بوعد من الله تعالى منجزاً فوفاه لهم، لأنه قضاه وأعلمهم به في كتابهم. وقوله: ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ أي بعد سنين طويلة وبنو اسرائيل مضطهدون مشردون نبتت منهم نابتة وطالبت بأن يعين لهم ملكاً يقودهم إلى الجهاد وكان ذلك كما تقدم في سورة البقرة جاهدوا وقتل داود جالوت وهذا معنى ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ وقوله: ﴿وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ أي رجالاً في الحروب وكثرت أموالهم وأولادهم وتكونت لهم دولة سادت العالم على عهد داود وسليمان عليهما السلام.

هداية الآيات:

١ ـ بيان إفضال الله تعالى على الأمتين الإسلامية والإسرائيلية.

٢ ـ بيان سر إنزال الكتب وهو هداية الناس إلى عبادة الله تعالى وتوحيده فيها.

٣ ـ وجوب شكر الله تعالى على نعمه إذ كان نوح عليه السلام إذا أكل الأكلة قال الحمد لله، وإذا شرب الشربة قال الحمدلله، وإذا لبس حذاءه قال الحمدلله وإذا قضى حاجة قال الحمد لله فسمى عبداً شكوراً وكذا كان رسول الله والصالحون من أمته إلى اليوم.

٤ ـ ما قضاه الله تعالى كائن، وما وعد به ناجز، والإيمان بذلك واجب.

٥ ـ التنديد بالإفساد والظلم والعلو في الأرض، وبيان سوء عاقبتها.

إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

فيها بالفسق والفجور فسلط عليه البابليين فأسقطوا دولتهم، ومزّقوا ملكهم واستمروا مشتتين إلى أن ملّكوا طالوت وقاتلوا معه على عهد نبي الله حزقيل فهزموا جالوت البابلي، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿ثم رددنا لكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ إذ تكونت لهم دولة عظيمة على عهد كل من طالوت وداود وسليمان واستمرّت حتى فسقوا وفجروا فاستحقوا العذاب فسلّط الله عليهم بختنصر البابلي أيضاً فأحرق هيكل سليمان، ودمّر أورشليم فتركها خراباً ودماراً، وهذه هي المرة الآخرة ثم أنجز لهم الله تعالى ما وعدهم بقوله: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ فاجتمعوا وصلحوا وعاد لهم ملكهم فترة من الزمن، وعادوا إلى الفسق والعصيان فعاد الله تعالى عليهم فسلّط عليهم الرومان سنة ١٣٥ بعد الميلاد فاحتلوا بلادهم وشرّدوهم في الأرض.

شـــرح الكلمات :

إن أحسنتم : أي طاعة الله وطاعة رسوله بالإخلاص فيها وبأدائها على الوجه المشروع لها.

أحسنتم لأنفسكم : أي أن الأجر والمثوبة والجزاء الحسن يعود عليكم لا على غيركم.

وإن أسأتم : أي في الطاعة فإلى أنفسكم سوء عاقبة الإساءة.

وعد الآخرة : أي المرة الآخرة المقابلة للأولى وقد تقدمت.

ليسوءوا وجوهكم : أي يقبحوها بالكرب واسوداد الحزن وهم الذل.

وليدخلوا المسجد : أي بيت المقدس.

وليتبروا ما علو تتبيرا : أي وليدمروا ما غلبوا عليه من ديار بني إسرائيل تدميراً

وإن عدتم عدنا : أي وإن رجعتم إلى الفساد والمعاصي عدنا بالتسليط عليكم.

حصيراً : أي محبساً وسجناً وفراشاً يجلسون عليها فهي من فوقهم ومن تحتهم.

معنى الآيات:

ما زال السياق في الحديث عن بني إسرائيل فبعد أن أخبرهم تعالى بما حكم به عليهم في كتابهم أنهم يفسدون في الأرض مرتين ويعلون علواً كبيراً. وأنه إذا جاء ميقات أولى المرتين بعث عليهم عباداً أشداء أقوياء وهم جالوت وجنوده فقتلوهم وسبوهم، أنه تعالى رد لهم الكرة عليهم فانتصروا عليهم وقتل داود جالوت وتكونت لهم دولة عظيمة كانت أكثر الدول رجالاً واوسعها سلطاناً وذلك لرجوعهم إلى الله تعالى بتطبيق كتابه والتزام شرائعه وهناك قال تعالى لهم: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾ أي إن أحسنتم باتباع الحق والتزام الطاعة لله ورسوله بفعل المأمورات واجتناب المنهيات والأخـذ بسنن الله تعالى في الاصلاح البشري وإن أسأتم بتعطيل الشريعة والانغماس في الملاذ والشهوات فإن نتائج ذلك عائدة على أنفسكم حسب سنة الله تعالى: ﴿من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾. وقوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أي وقتها المعين لها، وهي المرة الآخرة بعد الأولى بعث أيضاً عليهم عباداً له وهم بختنصّر وجنوده بعثهم عليهم ليسودوا وجوههم بما يصيبونهم به من الهم والحزن والمهانة والذل ﴿وليدخلوا المسجد﴾ أي بيت المقدس كما دخلوه أول مرة﴿وليتبروا﴾أي يدمروا ما علوا أي ماغلبوا عليه من ديارهم ﴿تتبيرا﴾ أي تدميراً كاملاً وتحطيمًا تاماً وحصل لهم هذا لما قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام وكثيراً من العلماء وبعد أن ظهر فيهم الفسق وفي نسائهم التبرج والفجور واتخاذ الكعب العالي. كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾[1] فهذا خيْر عظيم لهم لو طلبوه بصدق لفازوا به ولكنهم أعرضوا عنه وعاشوا على التمرد على الشرع والعصيان لله ورسله. وقوله وإن عدتم عدنا أي وإن عدتم إلى الفسق والفجور عدنا بتسليط من نشاء من عبادنا فأنجزهم الله تعالى ما وعدهم فسلط عليهم رسوله محمداً ﷺ والمؤمنين فاجلى بني قينقاع وبني النضير من المدينة وقتل بني قريضة كما سلط عليهم ملوك أروبا فطاردوهم وساموهم الخسف وأذاقوهم سوء العذاب في قرون طويلة وقوله تعالى: ﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾[2] أي إن كان عذاب الدنيا بالتسلط على الظالمين وسلبهم حريتهم وإذاقتهم عذاب القتل والأسر والتشريد فإن عذاب الآخرة هو الحبس والسجن في جهنم تكون حصيراً للكافرين لا يخرجون منها للكافرين أي الذين يكفرون شرائع الله ونعمه عليهم بتعطيل الأحكام وتضييع الفرائض وإهمال السنن والانغماس في الملاذ والشهوات.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - صدق وعد الله تعالى.

٢ - تقرير نبوة النبي ﷺ إذ مثل هذه الأنباء لا يقصها إلا نبي يوحى إليه.

٣ - تقرير قاعدة ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾.

٤ - وجوب الرجاء في الله وهو انتظار الفرج والخير منه وإن طال الزمن.

٥ - قد يجمع الله تعالى للكافرين بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وكذا الفاسقون من المؤمنين.

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾

(١) تقدم أن الله تعالى أنجز لهم وعده في قوله ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ وأنه رحمهم فصلحوا واستقاموا، وأعادوا بناء دولتهم وسعدوا فيها زمناً ثم عادوا إلى الفسق والفجور فعاد تعالى عليهمفسلطالرومان فقتلوهم وشردوهم وذلك سنة ١٣٥ بعد الميلاد، ومن يومئذ انتهى ملك اليهود، واستمرت أورشليم تحت يد الرومان إلى الفتح الإسلامي حيث فتحت على يد عمر رضي الله عنه سنة ١٦ صلحاً مع أهلها وهي تسمى يومئذ (إلياء).

(٢) الحصير المكان الذي يحصر فيه فلا يستطاع الخروج منه ففعيل (حصير) إمّا أن يكون بمعنى فاعل أي: حاصر أو بمعنى مفعول أي: محصور فيه، وفسّر في التفسير بالسجن وهو كذلك إذ السجن يحصر مَن فيه فلا يقدر على الخروج منه.

وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾

شرح الكلمات:

للتي هي أقوم	: أي للطريقة التي هي أعدل وأصوب.
أن لهم أجراً كبيرا	: إنه الجنة دار السلام.
اعتدنا لهم عذابا أليما	: انه عذاب النار يوم القيامة.
ويدع الانسان بالشر	: أي على نفسه وأهله إذا هو ضجر وغضب.
وكان الانسان عجولا	: أي سريع التأثر بما يخطر على باله فلا يتروى ولا يتأمل.
آيتين	: أي علامتين دالتين على وجود الله وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته.
فمحونا آية الليل	: أي طمسنا نورها بالظلام الذي يعقب غياب الشمس.
مبصرة	: أي يبصر الانسان بها أي بسبب ضوء النهار فيها.
عدد السنين والحساب	: أي عدد السنين وانقضائها وابتداء دخولها وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها كالأيام والأسابيع والشهور.

معنى الآيات:

يخبر تعالى أن هذا القرآن الكريم[1] الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ الذي أسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى يهدي بما فيه من الدلائل والحجج والشرائع والمواعظ للطريقة والسبيل التي هي أقوم[2] أي أعدل واقصد من سائر الطرق والسبيل إنها الدين القيم الإسلام سبيل السعادة والكمال في الدارين، ﴿ويبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي ويبشر القرآن الذين آمنوا بالله ورسوله ولقاء الله ووعده ووعيده وعملوا الصالحات وهي الفرائض والنوافل بعد تركهم الكبائر والمعاصي بأن لهم أجراً كبيراً ألا وهو الجنة، كما يخبر الذين لا يؤمنون بالآخرة أن الله تعالى

---

(١) قوله: ﴿هذا القرآن﴾ الإشارة بهذا إلى القرآن الحاضر بين أيدي الناس المحفوظ في الصدور المكتوب في السطور، وفي الإشارة إليه تنويه بشأنه وعلو مقامه بين الكتب الإلهية.

(٢) ﴿أقوم﴾ اسم تفضيل من القويم، وأقوم: صفة لمحذوف وهو الطريق أي: الطريق التي هي أقوم من هدي كتاب بني اسرائيل إذ قال فيه: ﴿وجعلناه هدى لبني اسرائيل﴾ فالقرآن أكثر هداية إلى السبيل الأقوم من التوراة.

أعد أي هيأ لهم عذاباً أليمًا في جهنم.

وقوله تعالى ﴿ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير﴾[1] يخبر تعالى عن الإنسان في ضعفه وقلة إدراكه لعواقب الأمور من أنه إذا ضجر أو غضب يدعو على نفسه وأهله بالشر غير مفكر في عاقبة دعائه لو استجاب الله تعالى له. يدعو بالشر دعاءه بالخير أي كدعائه بالخير، وقوله: ﴿وكان الانسان عجولا﴾[2] أي كثير العجلة يستعجل في الأمور كلها هذا طبعه ما لم يتأدب بآداب القرآن ويتخلق بأخلاقه فإن هو استقام على منهج القرآن تبدل طبعه وأصبح ذا تؤدة وحلم وصبر وأناة. وقوله تعالى: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ أي علامتين على وجودنا وقدرتنا وعلمنا وحكمتنا، وقوله ﴿فمحونا[3] آية الليل﴾ أي بطمس نورها، وجعلنا آية النهار مبصرة أي مضيئة وبين علة ذلك بقوله: ﴿لتبتغوا فضلا من ربكم﴾ أي لتطلبوا رزقكم بالسعي والكسب في النهار. هذا من جهة ومن جهة أخرى ﴿لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ أي عدد السنين وانقضائها وابتداء دخولها وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها كالأيام والأسابيع والشهور. لتوقف مصالحكم الدينية[4] والدنيوية على ذلك. وقوله تعالى: ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلا﴾ أي وكل شيء يحتاج إليه في كمال الإنسان وسعادته بيناه تبييناً أي في هذا الكتاب الذي يهدي للتي هي أقوم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان فضل القرآن الكريم، بهدايته إلى الإسلام الذي هو سبيل السعادة للإنسان.

٢ - الوعد والوعيد بشارة المؤمنين العاملين للصالحات، ونذارة الكافرين باليوم الآخر.

٣ - بيان طبع الإنسان قبل تهذيبه بالآداب القرآنية والأخلاق النبوية.

٤ - كون الليل والنهار آيتين تدلان على الله تعالى وتقرران علمه وقدرته وتدبيره.

٥ - مشروعية علم الحساب وتعلمه.

---

(١) قال ابن عباس وغيره: هو دعاء الرجل على نفسه وولده عند الضجر بما يحب ألا يستجاب له: اللهم أهلكهم ونحوه. وحذفت الواو من ﴿يدعُ﴾ كما حذفت من ﴿سندع الزبانية﴾ و ﴿يمح الله الباطل﴾: لأنه لاينطق بها لاصلها الساكن.

(٢) روي أن آدم عليه السلام لما نفخ الله تعالى فيه الروح فانتهت الروح إلى سرّته نظر إلى جسده فذهب لينهض فلم يقدر فذلك قوله تعالى: ﴿وكان الإنسان عجولا﴾ قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومن مظاهر عجلة الإنسان أنه يؤثر العاجل وإن قلّ على الآجل وإن كثر.

(٣) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقتادة رحمه الله: المراد بالمحو: اللطخة السوداء في القمر ليكون ضوء القمر أقلّ من ضوء الشمس فيتميّز الليل من النهار وما في التفسير أولى أي: جعل الله الليل مظلماً، والنهار مضيئا لما يترتب على ذلك من مصالح العباد.

(٤) كمعرفة أوقات الصلاة، وشهر الصيام، والحج، وما إلى ذلك من آجال الديون ونحوها كالعدد للنساء.

وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

طائره	: أي عمله وما قدر له من سعادة وشقاء .
في عنقه	: أي ملازم له لا يفارقه حتى يفرغ منه .
عليك حسيبا	: أي كفى نفسك حاسباً عليك .
ولا تزر وازرة وزر أخرى	: أي لا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى .
مترفيها	: منعميها من أغنياء ورؤساء .
فحق عليها القول	: أي بالعذاب .
وكم أهلكنا	: أي أهلكنا كثيراً .
من القرون	: أي من أهل القرون السابقة .
خبيرا بصيرا	: أي عليماً بصيراً بذنوب العباد .

معنى الآيات :

يخبر تعالى أنه عز وجل لعظيم قدرته،وسعة علمه،وحكمته في تدبيره ألزم كل انسان ما قضى به له من عمل وما يترتب على العمل من سعادة أو شقاء في الدارين،الزمه ذلك بحيث لا يخالفه ولا

يتأخر عنه بحال حتى كأنه مربوط بعنقه. هذا معنى قوله تعالى: ﴿وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾[2] أي وفي يوم القيامة يخرج الله تعالى لكل انسان كتاب عمله فيلقاه منشوراً أي مفتوحاً أمامه. ويقال له: إقرأ كتابك الذي أحصى لك عملك كله فلم يغادر منه صغيرة ولا كبيرة. وقوله ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ أي يكفيك نفسك حاسباً لأعمالك محصياً لها عليك أيها الانسان. وقوله تعالى: ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه﴾، أي بعد هذا الإعلام والبيان ينبغي أن يعلم أن من اهتدى اليوم فآمن بالله ورسوله ولقاء الله،ووعده ووعيده وعمل صالحاً وتخلّى عن الشرك والمعاصي فإنما عائد ذلك له،هو الذي ينجو من العذاب،ويسعد في دار السعادة، وان من ضل طريق الهدى فكذب ولم يؤمن،وأشرك ولم يوحّد، وعصى ولم يطع فإن ذلك الضلال عائد عليه،هو الذي يشقى به ويعذب في جهنم دار العذاب والشقاء. وقوله ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[3] الوزر الإثم والذنب والوازرة الحاملة له لتؤخذ به ومعنى الكلام ولا تحمل يوم القيامة نفس آثمة إثم نفس أخرى، بل كل نفس تتحمل مسئوليتها بنفسها،[4] والكلام تقرير لقوله: ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾. وقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾[5] أي لم يكن من شأن الله تعالى وهو العدل الرحيم أن يهلك أمة بعذاب إبادة واستئصال قبل أن يبعث فيها رسولاً يعرفها بربها وبمحابه ومساخطه، ويأمرها بفعل المحاب وترك المساخط التي هي الشرك والمعاصي. وقوله تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾ أي أهل قرية ﴿أمرنا مترفيها﴾ أي أمرنا منعميها من أغنياء ورؤساء وأشراف من أهل الحل والعقد أمرناهم بطاعتنا بإقامة الشرع وأداء الفرائض والسنن واجتناب كبائر الإثم والفواحش فلم يستجيبوا للأمر ولا للنهي وهو معنى ﴿ففسقوا فيها فحق عليها القول﴾[6] أي وجب عليها العذاب ﴿فدمرناها تدميراً﴾ أي أهلكناها إهلاكاً كاملاً، وهذا الكلام بيان لقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث

---

(١) قال الزجّاج ذكر العنق عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة للعنق، وقال ابن عباس طائره: عمله وما قدّر عليه من خير وشر وهو ملازمه أينما كان.

(٢) قالوا في علة: نشره أنه تعجيل للبشرى بالحسنات والتوبيخ بالسيئات.

(٣) قيل في هذه الآية ﴿ولا تزر وازرة . . .﴾ نزلت في الويد بن المغيرة إذ قال لأهل مكة اتبعوني واكفروا بمحمد وعليَّ أوزاركم. وإن لم تنزل فيه فهي شاملة لكل من يقول بقوله تضليلاً وباطلاً.

(٤) استدلت عائشة رضي الله عنها بهذه الآية على بطلان حديث ابن عمر إذ قال: إنّ الميّت يعذّب ببكاء أهله، وردّ اعتراضها بأنّ الميت إذا أوصى بالبكاء كان ذلك من وزره لا من وزر غيره، وقد كانوا يوصون بذلك، قال طرفة بن العبد:

إذا متّ فأنبعيني بما أنا أهله وشُقّي عَلَيَّ الجيب يابنت معبد

ومن الجائز أن يعذّب وإن لم يوص،إذا هو أهمل تأديب أهله.

(٥) أوّل المعتزلة الرسول (رسولا) بالعقل، وقالوا: العقل يحسن ويقبح ويبيح ويحظر، وهو تأويل باطل لا يتفق مع اللغة ولا مع الشرع.

(٦) شاهده حديث زينب في الصحيح: (أنهلك وفينا الصالحون؟ قال نعم إذا كثر الخبث).

رسولاً﴾ إذ الرسول يأمر وينهى بإذن الله تعالى فإن لم يُطَعْ استوجب الناس العذاب فعذبوا. وقوله تعالى: ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح﴾ هو تقرير لهذا الحكم أيضاً إذ علمنا تعالى أن ما أخبر به كان واقعاً بالفعل فكثيراً من الأمم أهلكها من بعد هلاك قوم نوح كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وآل فرعون . . وقوله: ﴿وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾ : فإن القول وإن تضمَّن علم الله تعالى بذنوب عباده فإن معناه الوعيد الشديد والتهديد الأكيد، فإنه تعالى لا يرضى باستمرار الجرائم والآثام إنه يمهل لعل القوم يستفيقون، لعل الفساق يكفون، ثم إذا استمروا بعد الإعلام إليهم والتنديد بذنوبهم والتخويف بظلمهم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر. ألا فليحذر ذلك المصرون على الشرك والمعاصي!!

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٢ - تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٣ - تقرير العدالة[1] الإلهية يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً.

٤ - بيان سنة الله تعالى في إهلاك الأمم غير أنها لا تهلك إلا بعد الإنذار والإعذار إليها.

٥ - التحذير من كثرة التنعم والترف فإنه يؤدي إلى الفسق بترك الطاعة ثم يؤدى الفسق إلى الهلاك والدمار.

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ

---

(١) تجلَّت عدالة الله تبارك وتعالى في أنه عز وجل لا يعذِّب أمة من الأمم عذاب إبادة واستئصال إلا بعد أن يبعث إليها رسوله ينذرها ويبشرها، فإذا أصرّت على الكفر والتكذيب عذّبها. وهنا يرد موضوع أهل الفترة بين الرسل فهل يعذبون ولم تبلغهم دعوة الله أولا يعذبون فيكون حالهم أحسن ممن جاءتهم الرسل؟ والجواب على هذا الإشكال هو: فيما ورد عن النبي ﷺ وصح: (أن أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصمّ لا يسمع شيئا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة فأمّا الأصمّ فيقول يارب قد جاء الإسلام وما أسمع شيئا، وأمّا الأحمق فيقول ربّ قد جاء الصبيان يقذفونني بالبعر، وأما الهرم فيقول: ربّ قد جاء الإسلام وما أعقل شيئا، وأمّا الذي مات في الفترة فيقول: ربّ ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن: ادخلوا النار فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً.

ومن لم يدخلها يسحب إليها) فظاهر الحديث أنّ من كان من أهل الجنة يطيع يوم القيامة ويدخل النا، ثم لا يعذّب بها ويدخل الجنة، ومن كان من أهل النار يعصى يوم القيامة ويدخل النار يخلد فيها، والطاعة والعصيان في هذا الامتحان دالان على حال أهلهما في الدنيا لو توفرت لهم شروط التكليف التي هي: البلوغ، والعقل، والسمع، والبصر، وبلوغ الدعوة. فأولاد المشركين يدخلون ضمن هؤلاء الأربعة أيضاً.

ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْأَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات

العاجلة : أي الدنيا لسرعة انقضائها.

يصلاها مذموما مدحور : أي يدخلها ملوما مبعداً من الجنة.

وسعى لها سعيها : أي عمل لها العمل المطلوب لدخولها وهو الإيمان والعمل الصالح.

كان سعيهم مشكوراً : أي عملهم مقبولاً مثاباً عليه من قبل الله تعالى.

كلا نمد هؤلاء وهؤلاء : أي كل فريق من الفريقين نعطي.

وما كان عطاء ربك محظورا : أي لم يكن عطاء الله في الدنيا محظوراً أي ممنوعا عن أحد.

كيف فضلنا بعضهم على بعض: أي في الرزق والجاه.

لا تجعل مع الله إلهاً آخر : أي لا تعبد مع الله تعالى غيره من سائر المعبودات الباطلة.

فتقعد ملوماً مخذولاً : أي فتصير مذموماً من الملائكة والمؤمنين مخذولاً من الله تعالى.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في أخبار الله تعالى الصادقة والمتضمنة لأنواع من الهدايات الإلهية التي لا يحرمها إلا هالك، فقال تعالى في الآية الأولى (١٨) ﴿من كان يريد العاجلة﴾ أي الدنيا ﴿عجلنا له فيها ما نشاء﴾، لا ما يشاؤه العبد، وقوله ﴿لمن نريد﴾ لا من يريد غيرنا فالأمر كله لنا، ﴿ثم﴾ بعد ذلك ﴿جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً﴾ أي ملوماً ﴿مدحوراً﴾[1] أي مطروداً من رحمتنا التي هي الجنة دار الأبرار أي المطيعين الصادقين. وقوله تعالى في الآية الثانية (١٩) ﴿ومن أراد الآخرة﴾ يخبر

(١) قال القرطبي: ﴿مذموماً مدحورا﴾ أي: مطروداً مبعداً من رحمة الله، وهذه صفة المنافقين الفاسقين والمرائين والمدّاحين يلبسون الإسلام والطاعة لينالوا عاجل الدنيا من الغنائم وغيرها، فلا يقبل ذلك العمل منهم في الآخرة ولا يعطون في الدنيا إلاّ ما قُسم لهم.

تعالى أن من أراد الآخرة أي سعادة الآخرة ﴿وسعى لها سعيها﴾ أي عمل لها عملها اللائق بها وهو الإيمان الصحيح والعمل الصالح الموافق لما شرع الله في كتابه وعلى لسان رسوله، واجتنب الشرك والمعاصي وقوله ﴿وهو مؤمن﴾ قيد في صحة العمل الصالح أي لا يقبل من العبد صلاة ولا جهاد إلا بعد إيمانه بالله وبرسوله وبكل ما جاء به رسوله وأخبر به من الغيب.

وقوله ﴿فأولئك﴾ أي المذكورون بالإيمان والعمل الصالح ﴿كان سعيهم مشكوراً﴾[1] أي كان عملهم متقبلاً يثابون عليه بالجنة ورضوان الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا﴾ إي ان كلا من مريدي الدنيا ومريدي الآخرة يمد الله هؤلاء وهؤلاء من عطائه أي فضله الواسع فالكل يأكل ويشرب ويكتسي بحسب ما قدر له من الضيق والوسع ثم يموت وثَمَّ يقع التفاضل بحسب السعى الفاسد أو الصالح وقوله ﴿وما كان عطاء ربك محظورا﴾[2] يعني أن من أراد الله إعطاءه شيئاً لايمكن لأحد أن يصرفه منه ويحرمه منه بحال من الأحوال وقوله تعالى: ﴿أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ أي انظر يارسولنا ومن يفهم خطابنا كيف فضلنا بعض الناس على بعض في الرزق الذي شمل الصحة والعافية والمال والذرية والجاه، فإذا عرفت هذا فاعرف أن الآخرة أكبر درجات[3] وأكبر تفضيلا وذلك عائد إلى فضل الله أولا ثم إلى الكسب صلاحـاً وفسـاداً وكثرة وقِلَّةً كما هي الحال أيضا في الدنيا فبقدر كسب الإنسان الصالح للدنيا يحصل عليها ولو كان كافراً لقوله تعالى من سورة هود[4] ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾ أي لا ينقصون ثمرات عملهم لكونهم كفاراً مشركين.

وقوله تعالى: ﴿لا تجعل مع[5] الله إلهاً آخر﴾ أي لا تجعل يارسولنا مع الله إلهاً آخر تؤمن به وتعبده وتقرر إلهيته دوننا فإنك إن فعلت ـ وحاشاه أن يفعل لأن الله لايريد له ذلك ﴿فتقعد في جهنم مذموماً﴾ أي ملوماً يلومك المؤمنون والملائكة مخذولا من قبل ربك لا ناصر لك والسياق وإن كان في خطاب الرسول ﷺ فإن المراد به كل إنسان فالله تعالى ينهى عبده أن يعبد معه غيره فيترتب على ذلك شقاؤه والعياذ بالله تعالى.

---

(١) وجائز أن يكون مضاعفاً أي تضاعف لهم الحسنات إلى عشر إلى سبعين إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة، فقد قيل لأبي هريرة، أسمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة؟ قال: سمعته يقول: (إنّ الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة).

(٢) لفظ الحظر لغة: المنع، محظوراً أي ممنوعاً يقال: حظره كذا يحظره حظراً وحظاراً: إذا حبسه عنه ومنعه منه.

(٣) ورد أنّ أهـل الجنـة يتفـاوتون في درجاتهم إذ الجنة مائة درجة، ما بين كلّ درجتين كما بين السماء والأرض، وفي الصحيح: أنّ أهل الدرجات العلى ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء).

(٤) آية ١٥

(٥) الخطاب للرسول ﷺ والمراد به أمّته.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - كلا الدارين السعادة فيها أوالشقاء متوقف على الكسب والعمل هذه سنة الله تعالى في العباد.

٢ - سعي الدنيا التجارة والفلاحة والصناعة.

٣ - سعي الآخرة الإيمان وصالح الأعمال والتخلية عن الشرك والمعاصي.

٤ - يعطي الله تعالى الدنيا من يحب ومن لا يحب وعطاؤه قائم على سنن له في الحياة يجب معرفتها والعمل بمقتضاها لمن أراد الدنيا والآخرة.

٥ - ما أعطاه الله لا يمنعه أحد فوجب التوكل على الله والإعراض عما سواه.

٦ - تحريم الشرك والوعيد عليه بالخلود في نار جهنم.

۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

شــرح الكلمات :

وقضى ربك : اي أمر وأوصى.

وبالوالدين إحسانا : أي وأن تحسنوا بالوالدين إحساناً وذلك ببرورهما.

فلا تقل لهما أف : أي تباً أو قبحاً أو خسراناً.

ولا تنهرهما	: أي ولا تزجرهما بالكلمة القاسية .
قولاً كريما	: جميلاً ليناً .
جناح الذل	: أي ألن لهما جانبك وتواضع لهما .
كان للأوابين	: أي الرجاعين إلى الطاعة بعد المعصية .
وآت ذا القربى	: أي أعط أصحاب القرابات حقوقهم من البر والصلة .
ولا تبذر تبذيرا	: أي ولا تنفق المال في غير طاعة الله ورسوله .
لربه كفورا	: أي كثير الكفر كَبِيرَهُ لنعم ربه تعالى ، فكذلك المبذر أخوه .

معنى الآيات :

لما حرم الله تعالى الشرك ونهى عنه رسوله بقوله ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولا﴾ أمر بالتوحيد فقال : ﴿وقضى[1] ربك﴾ أي حكم وأمر ووصى ﴿ألا تعبدوا إلا إياه﴾ أي بأن لا تعبدوا إلا الله عز وجل ، وقوله تعالى : ﴿وبالوالدين إحسانا[2]﴾ أي وأوصى بالوالدين وهما الأم والأب إحساناً وهو برهما وذلك بإيصال الخير إليهما وكف الأذى عنهما ، وطاعتهما في[3] غير معصية الله تعالى . وقوله تعالى : ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما[4]﴾ أي إن يبلغ سن الكبر عندك واحد منهما الأب أو الأم أو يكبران معاً وأنت حي موجود بينهما في هذه الحال يجب أن تخدمهما خدمتهما لك وأنت طفل فتغسل بولهما وتطهر نجاستهما وتقدم لهما ما يحتاجان إليه ولا تتضجّر أو تتأفف من خدمتهما كما كانا هما يفعلان ذلك معك وأنت طفل تبول وتخرأ وهما يغسلان وينظفان ولا يتضجران أو يتأففان ، وقوله : ﴿ولا تنهرهما﴾ أي لا تزجرهما بالكلمة العالية النابية ﴿وقل لهما قولاً كريما[5]﴾ اي جميلاً سهلا لينا يشعران معه بالكرامة والإكرام لهما وقوله تعالى : ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة[6]﴾ أي ألن لهما وتطامن وتعطف عليهما وترحم . وادع لهما طوال

---

(١) فعل قضي يكون لمعان عدّة منها قضى بمعنى : أمر كما هنا ، وقضى بمعنى : فرغ كقوله تعالى : ﴿فإذا قضيتم مناسككم﴾ أي فرغتم منها ، ويكون بمعنى حكم نحو : ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ وبمعنى العهد نحو : ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾ ويكون بمعنى الخلق نحو : ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ أي : خلقهن .

(٢) هذه الآية نص في برّ الوالدين وحرمة عقوقهما ، وشاهد ذلك من السنة قوله ﷺ وقد سئل عن أحب الأعمال إلى الله تعالى فقال : ﴿برّ الوالدين﴾ وقال : ﴿إنّ من الكبائر شتم الرجل والديه . قالوا : وهل يشتم الرجل والديه؟ قال : نعم ، يسبّ الرجل أبا الرجل فيسبّ أباه ، ويسبّ أمّه فيسبّ أمّه) .

(٣) من شواهد الطاعة أن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كانت تحتي امرأة أحبّها وكان أبي يكرهها فأمرني أن أطلقها فأبيت ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : يا عبدالله بن عمر طلّق امرأتك) وللأم ثلاثة أرباع الطاعة وللأب الربع لحديث الصحيح : رواه الترمذي وصححه : (من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال : أمّك قال : ثم من قال أمّك . قال : ثمّ من قال : أمّك . قال : ثم قال : أبوك) .

(٤) أي : لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرّم وعدم رضا ، وأف : اسم فعل كصّه ومَهْ منوّن وفيه لغات .

(٥) الكريم من كل شيء أرفعه في نوعه .

(٦) ال : في الرحمة نابت عن المضاف ، إذ التقدير : من رحمتك إياهما

حياتك بالمغفرة والرحمة إن كانا موحّدين ﴿وماتا على ذلك لقوله تعالى: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وهو معنى قوله تعالى: ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾، وقوله تعالى: ﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين[1] فإنه كان للأوابين غفوراً﴾

يخبر تعالى بأنه أعلم بنا من أنفسنا فمن كان يضمر عدم الرضا عن والديه والسخط عليهما فالله يعلمه منه، ومن كان يضمر حبهما واحترامهما والرضا بهما وعنهما فالله تعالى يعلمه ويجزيه به فالمحسن يجزيه بالإحسان والمسيء يجزيه بالإساءة، وقوله: ﴿إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين[2] غفوراً﴾ بحكم ضعف الإنسان فإنه قد يضمر مرة السوء لوالديه أو تبدر منه البادرة السيئة من قول أو عمل وهو صالح مؤدٍ لحقوق الله تعالى وحقوق والديه وحقوق الناس فهذا العبد الصالح يخبر تعالى أنه غفور له متى آب إلى الله تعالى مستغفراً مما صدر منه نادماً عليه.

وقوله تعالى: ﴿وآت ذا القربى[3] حقه والمسكين وابن السبيل﴾ هذا أمر الله للعبد المؤمن بإيتاء قرابته حقوقهم من البر والصلة وكذا المساكين وهم الفقراء الذي مسكنتهم الفاقة وأذلهم الفقر فهؤلاء أمر تعالى المؤمن باعطائهم حقهم من الإحسان إليهم بالكساء أو الغذاء والكلمة الطيبة، وكذا ابن السبيل وهو المسافر يعطي حقه من الضيافة والمساعدة على سفره إن احتاج إلى ذلك مع تأمينه وإرشاده إلى طريقه. وقوله تعالى ﴿ولا تبذر تبذيرا[4]﴾ أي ولا تنفق مالك ولا تفرقه في غير طاعة الله تعالى. وقوله ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ لأنهم بتبذيرهم المال في المعاصي كانوا عصاة لله فاسقين عن أمره وهذه حال الشياطين فتشابهوا فكانوا إخواناً، وقوله إن الشيطان كان لربه كفوراً لأنه عصى الله تعالى وكفر نعمه عليه ولم يشكره بطاعته فالمبذر للمال في المعاصي فسق عن أمر ربه ولم يشكر نعمه عليه فهو إذا شيطان فهل يرضى عبدالله المسلم أن يكون شيطانا؟

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - وجوب عبادة الله تعالى وحده ووجوب بر الوالدين، وهو الإحسان بهما، وكف الأذى عنهما، وطاعتهما في المعروف.

---

(١) ﴿صالحين﴾: أي: مؤدين لحقوق الله تعالى وافية وحقوق عباده كذلك.

(٢) الأوّاب: الذي كلما أذنب تاب. والأوّاب، الحفيظ: الذي كلما ذكر ذنبه استغفر ربّه. وصلاة الأوّابين: صلاة الضحى حين ترمض الفصلان أي تحترق أخفافها من الرمضاء فتبرك من شدة الحر.

(٣) هم قرابة المرء من قبل أبيه وأمّه معاً. قاله ابن عباس والحسن.

(٤) قال مجاهد: لو أنفق ماله كله في حق ما كان مبذرا، ولو أنفق مُداً في غير حق كان مبذراً.

٢ ـ وجوب الدعاء للوالدين بالمغفرة والرحمة.[١]

٣ ـ وجوب مراقبة الله تعالى وعدم إضمار أي سوء في النفس.

٤ ـ من كان صالحاً وبدرت منه البادرة وتاب منها فإن الله يغفر له ذلك.

٥ ـ وجوب إعطاء ذوي القربى حقوقهم من البر والصلة، وكذا المساكين وابن السبيل.

٦ ـ حرمة التبذير وحقيقته إنفاق المال في المعاصي والمحرمات.

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا
مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟
أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ
خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ
سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن
قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى
ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾

شـرح الكلمـات:

وإما تعرضن عنهم : أي عن المذكورين من ذي القربى والمساكين وابن السبيل فلم تعطهم شيئاً.

ابتغاء رحمة من ربك ترجوها : أي طلباً لرزق ترجوه من الله تعالى.

---

(١) روى أبو داود وغيره أن رجلا من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله: (هل بقي من برّ والدي من بعد موتهما شيء أبرهما به؟ قال: نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلاّ من قِبلهما فهذا الذي بقي عليك) وفي الصحيح عن ابن عمر قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ من أبرّ البرّ صلة الرجل أهل ودّ أبيه بعد أن يولّي).

قولا ميسوراً	: أي ليناً سهلاً بأن تعدهم بالعطاء عند وجود الرزق.
مغلولة إلى عنقك	: أي لا تمسك عن النفقة كأن يدك مربوطة إلى عنقك فلا تستطيع أن تعطي شيئاً.
ولا تبسطها كل البسط	: أي ولا تنفق كل ما بيدك ولم تبق شيئاً.
فتقعد ملوما	: أي يلومك من حرمتهم من الإنفاق.
محسورا	: أي منقطعا عن سيرك في الحياة إذ لم تبق لك شيئاً.
يبسط الرزق ويقدر	: أي يوسعه، ويقدر أي يضيقه امتحانا وابتلاء.
خشية املاق	: أي خوف الفقر وشدته.
خطئاً كبيراً	: أي إثماً عظيماً.
فاحشة وساء سبيلاً	: أي خصلة قبيحة شديدة القبح، وسبيلا بئس السبيل.
لوليه سلطان	: أي لوارثه تسلطاً على القاتل.
فلا يسرف في القتل.	: أي لا يقتل غير القاتل.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في وصايا الرب تبارك وتعالى والتي هي حكم أوحاها الله تعالى إلى رسوله للاهتداء بها، والكمال والإسعاد عليها. فقوله تعالى: ﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ أي إن أعرضت عن قرابتك أو عن مسكين سألك أو ابن سبيل احتاج إليك ولم تجد ماتعطيهم فأعرضت عنهم بوجهك أيها الرسول ﴿فقل لهم قولاً ميسورا﴾[1] أي سهلا ليناً وهو العدة الحسنة كقولك إن رزقني الله سأعطيك أو عما قريب سيحصل لي كذا وأعطيك وما أشبه ذلك من الوعد الحسن، فيكون ذلك عطاء منك عاجلاً لهم يسرون به، ولا يحزنون. وقوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ أي لا تبخل بما آتاك الله فتمنع ذوي الحقوق حقوقهم كأن يدك مشدودة إلى عنقك فلا تستطيع أن تنفق، وقوله: ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ أي تفتح يديك بالعطاء فتخرج كل ما بجيبك أو خزانتك فلا تبق شيئاً لك ولأهلك. وقوله: ﴿فتقعد ملوماً محسوراً﴾ أي إن أنت أمسكت ولم تنفق لامك سائلوك إذ لم تعطهم، وإن أنت أنفقت كل

---

(١) روي أنّ النبي ﷺ كان إذا سئل وليس عنده ما يعطي سكت انتظاراً للرّزق يأتي من الله تعالى كراهة الردّ فنزلت هذه الآية. فكان ﷺ: إذا سئل وليس عنده ما يعطى قال: (يرزقنا الله وإيّاكم من فضله) فالرحمة في الآية: الرزق المنتظر ولقد احسن مَنْ قال:

إلاّ تكن ورِق يوماً أجود بها ... للسائلين فإني ليّن العودِ
لا يعدم السائلون الخير من خلقي ... إمّا نوالي وإمّا حسن مردودي

شيء عندك انقطعت بك الحياة ولم تجد ماتواصل به سيرك في بقية عمرك فتكون كالبعير الذي أعياه السير فانقطع عنه وترك محسوراً في الطريق لا يستطيع صاحبه رده إلى أهله، ولا مواصلة السير عليه إلى وجهته. وقوله: ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء﴾ أي يوسع على من يشاء امتحاناً له أيشكر أم يكفر ويقدر لمن يشاء أي يضيق على من يشاء ابتلاء له أيصبر أم يضجر ويسخط، ﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ فلذا هو يوسع ويضيق بحسب علمه وحكمته، إذ من عباده من لايصلحه إلا السعة، ومنهم من لايصلحه إلا الضيق، وقوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ أي ومما حكم به وقضى ووصى ﴿ألا تقتلوا أولادكم﴾ أي أطفالكم[1] ﴿خشية إملاق﴾ أي مخافة الفاقة والفقر، إذ كان العرب يئدون البنات خشية العار ويقتلون الأولاد الذكور كالإناث مخافة الفقر فأوصى تعالى بمنع ذلك وقال متعهداً متكفلا برزق الأولاد وآبائهم فقال: ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾ وأخبر تعالى أن قتل الأولاد ﴿كان خطئاً[2] كبيراً﴾ أي إثمًا عظيمًا فكيف يقدم عليه المؤمن؟.

وقوله: ﴿ولا تقربوا الزنا[3] إنه كان فاحشة وساء سبيلاً[4]﴾ أي ومن جملة ما حكم به ووصى أن لا تقربوا أيها المؤمنون الزنا مجرد قرب منه قبل فعله، لأن الزنا كان في حكم الله فاحشة أي خصلة قبيحة شديدة القبح ممجوجة طبعاً وعقلاً وشرعا، وساء طريق هذه الفاحشة سبيلاً أي بئس الطريق الموصل إلى الزنا طريقا للآثار السيئة والنتائج المدمرة التي تترتب عليه أولها أذية المؤمنين في أعراضهم وآخرها جهنم والاصطلاء بحرها والبقاء فيها أحقاباً طويلة. وقوله: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ أي ومما حكم تعالى به وأوصى أن لاتقتلوا أيها المؤمنون النفس التي حرم الله أي قتلها إلا بالحق، وقد بيَّن رسول الله ﷺ الحق الذي تقتل به نفس المؤمن وهو واحدة من ثلاث: القتل العمد العدوان، الزنا بعد الاحصان، الكفر بعد الإيمان. وقوله: ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً[5]﴾ أي من قتل له قتيل ظلماً وعدواناً أي غير خطأ فقد أعطاه تعالى سلطة كاملة على قاتل وليه إن شاء قتله وإن شاء أخذ دية منه، وإن شاء عفا عنه لوجه الله تعالى: وقوله: ﴿فلا يسرف[6] في القتل إنه كان منصورا[7]﴾ أي لا يحل لولي الدم أي لمن قتل له

(١) الإملاق: الفقر، وعدم الملك، يقال: أملق الرجل: إذا لم يبق له إلاّ الملقات، وهي الحجارة العظام المُلس.
(٢) يقال: خطىء يخطأ خطئاً، وخطأ: إذا أذنب. وأخطأ يُخطىء: خطأ إذا سلك سبيل خطإعمداً.
(٣) قالت العلماء: قول: ﴿ولا تقربوا الزنى﴾: أبلغ من قول: ولا تزنوا، فإنّ معناه لا تدنوا من الزنى والزنى يمدّ ويقصر لغتان.
(٤) قبح سبيلا أي: طريقاً لأنه يؤدي إلى النار.
(٥) الولي: هو المستحق الدّم رجلاً كان أو امرأة، والسلطان معناه التسليط فهو إن شاء قتل وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية.
(٦) أي: فلا يقتل غير قاتله، ولا يمثّل بالقتيل، ولا يقتل بالواحد اثنين أو أكثر ولا بالعبد الحر.
(٧) جملة: إنه كان منصورا: تعليلية أي: علّة للنهي عن الإسراف في القتل.

قتيل أن يسرف في القتل فيقتل بدل الواحد أكثر من واحد أو بدل المرأة رجلا. أو يقتل غير القاتل، وذلك أن الله تعالى أعطاه سلطة تمكنه من قتل قاتله فلا يجوز أن يقتل غير قاتله كما كانوا في الجاهلية يفعلون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - العدة الحسنة تقوم مقام الصدقة لمن لم يجد ما يتصدق به على من سأله.

٢ - حرمة البخل، والإسراف معاً وفضيلة الاعتدال والقصد.

٣ - تجلي حكمة الله تعالى في التوسعة على أناس، والتضييق على آخرين.

٤ - حرمة قتل الأولاد بعد الولادة أو إجهاضاً قبلها خوفا من الفقر أو العار.

٥ - حرمة مقدمات الزنا كالنظر بشهوة والكلام مع الأجنبية ومسها وحرمة الزنا وهو أشد.

٦ - حرمة قتل النفس التي حرّم الله قتلها إلا بالحق والحق قتل عمد عدواناً، وزناً بعد إحصان، وكفر بعد إيمان.[1]

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾

---

(١) لحديث الصحيحين: (لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والزاني المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعة) وفي السنن: (لزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مسلم).

شـــرح الكلمـات:

الا بالتي هي أحسن : أي ألا بالخصلة التي هي أحسن من غيرها وهي تنميته والإنفاق عليه منه بالمعروف.

حتى يبلغ أشده : أي بلوغه سن التكليف وهو عاقل رشيد.

وأوفوا بالعهد : أي إذا عاهدتم الله أو العباد فأوفوا بما عاهدتم عليه.

إن العهد كان مسئولا : أي عنه وذلك بأن يُسأل العبدُ يوم القيامة لم نكثت عهدك ؟

أوفوا الكيل : أي اتموه ولا تنقصوه.

بالقسطاس المستقيم : أي الميزان السوي المعتدل.

وأحسن تأويلاً : أي مآلاً وعاقبة.

ولا تقف : أي ولا تتبع.

والفؤاد : أي القلب.

كان عنه مسئولاً : أي عن كل واحد من هذه الحواس الثلاث يوم القيامة.

مرحاً : أي ذا مرح بالكبر والخيلاء.

لن تخرق الأرض : أي لن تثقبها أو تشقها بقدميك.

من الحكمة : أي التي هي معرفة المحاب لله تعالى للتقرب بها إليها ومعرفة المساخط لتتجنبها تقربا إليه تعالى بذلك.

ملوما مدحوراً : أي تلوم نفسك على شركك بربك مبعداً من رحمة الله تعالى.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في بيان ما قضى به الله تعالى على عباده المؤمنين ووصاهم به فقال تعالى: ﴿ولا تقربوا﴾ أي أيها المؤمنون ﴿مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾ أي بالفعلة التي هي أجمل وذلك بأن تتصرفوا فيه بالتثمير له والاصلاح فيه، والانفاق منه على اليتيم بالمعروف أما أن تقربوه لتأكلوه إسرافاً وبداراً فلالا. وقوله: حتى يبلغ أشده أي حتى يبلغ سن الرشد فتحاسبوه وتعطوه ماله يتصرف فيه حسب المشروع من التصرفات المالية. وقوله تعالى:﴿وأوفوا بالعهد[1]﴾ أي ومما أوصاكم به أن توفوا بعهودكم التي بينكم وبين ربكم وبينكم وبين سائر الناس مؤمنهم وكافرهم فلا يحل لكم أن لا توفوا بالعهد وأنتم قادرون على الوفاء بحال من الأحوال. وقوله ﴿إن العهد كان مسئولاً[2]﴾ تأكيد للنهي عن نكث العهد إذ أخبر تعالى أن العبد

(١) التعريف في «العهد» للجنس ليشمل سائر العهود.

(٢) الجملة تعليلية علل بها الأمر بالوفاء بالعهود، وحذف متعلق مسئولا لظهوره: وهو عنه أي مسئولا عنه.

سيسأل عن عهده الذي لم يف به يوم القيامة، ومثل العهد سائر العقود من نكاح وبيع وإيجار وما إلى ذلك لقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أي العهود، وقوله: ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس[1] المستقيم﴾ هذا مما أمر الله تعالى وهو إيفاء الكيل والوزن أي توفيتهما وعدم بخسهما ونقصهما شيئاً ولو يسيراً ما دام في الإمكان عدم نقصه، أما ما يعسر التحرز منه فهو من العفو لقوله تعالى: ﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾. وقوله ﴿ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ أي ذلك الوفاء والتوفية في الكيل والوزن خير لبراءة الذمة وطيب النفس به وأحسن تأويلا أي عاقبة إذ يبارك الله تعالى في ذلك المال بأنواع من البركات لا يعلمها إلا هو عز وجل. ومن ذلك أجر الآخرة وهو خير فإن من ترك المعصية وهو قادر عليها أثابه الله تعالى على ذلك بأحسن ثواب. وقوله تعالى: ﴿ولا تقف[2] ماليس لك به علم[3]﴾ أي لا تتبع بقول ولا عمل ما لا تعلم، ولا تقل رأيت كذا وأنت لم تر، ولا سمعت كذا وأنت لم تسمع. وقوله تعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد﴾ أي القلب ﴿كل أولئك كان عنه[4] مسئولاً﴾ أي لا تقف ماليس لك به علم، لأن الله تعالى سائل هذه الأعضاء يوم القيامة عما قال صاحبها أو عمل فتشهد عليه بما قال أو عمل مما لا يحل له القول فيه أو العمل. ومعنى أولئك أي تلك المذكورات من السمع والبصر والفؤاد. وقوله تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ أي خيلاء وتكبراً أي مما حرم تعالى وأوصى بعدم فعله المشي في الأرض مرحاً أي تكبراً واختيالاً، لأن الكبر حرام وصاحبه لا يدخل الجنة، وقوله ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ أي برجليك أيها المتكبر لأن المتكبر يضرب الأرض برجليه اعتزازاً واهتزازاً، ولن تبلغ الجبال طولا مهما تعاليت وتطاولت فإنك كغيرك من الناس لا تخرق الأرض أي تثقبها أو تقطعها برجليك ولا تبلغ علو الجبال فلذا أترك مشية الخيلاء والتكبر، لأن ذلك معيب ومنقصة ولا يأتيه إلا ذو حماقة وسفه. وقوله تعالى: ﴿كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً﴾ أي كل ذلك المأمور به

---

(١) القسطاس بضم القاف قراءة الجمهور وبكسرها قراءة حفص وهو اسم للميزان أي آلة الوزن، واسم للعدل أيضاً وقيل هو معرب من الرومية مركب من قسط أي عدل وطاس وهو كفة الميزان والأصل ضم القاف وكسره العرب لأنه أعجمي وهم يقولون أعجمي العب به ما شئت.

(٢) القفو: الاتباع يقال قفاه يقفوه إذا اتبعه وهو مشتق من القفا وهو وراء العنق.

(٣) بهذه الحكمة وهي ولا تقف ما ليس لك به علم: وضع حد لكثير من المفاسد التي كانت تقع لسبب القول بدون علم منها: الطعن في الأنساب لمجرد ظن. ومنها القذف بالفاحشة. ومنها الكذب، ومنها شهادة الزور إلى غير ذلك من الأضرار التي تتم بسبب القول بالظن وبدون علم.

(٤) كل أولئك: المفروض أن يقال: كلها ولكن عدل إلى أولئك لأهمية تلك الحواس ونظير هذا في كلام العرب قول الشاعر:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى   والعيش بعد أولئك الأيام

والمنهي عنه من قوله تعالى: ﴿وقضى ربك﴾ إلى قوله ﴿ كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها﴾[1] سيئة كالتبذير والبخل وقتل الأولاد والزنا وقتل النفس وأكل مال اليتيم، وبخس الكيل والوزن، والقول بلا علم كالقذف وشهادة الزور، والتكبر كل هذا الشيء مكروه عند الله تعالى إذاً فلا تفعله ياعبدالله وما كان من حسن فيه كعبادة الله تعالى وحده وبر الوالدين والإحسان إلى ذوي القربى والمساكين وابن السبيل والعدة الحسنة فكل هذا الحسن هو عند الله حسن فأته ياعبدالله ولا تتركه ومن قرأ كنافع كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها فإنه يريد ما اشتملت عليه الآيات من التبذير والبخل وقتل النفس إلى آخر المنهيات.

وقوله تعالى: ﴿ذلك[2] مما أوحى إليك ربك من الحكمة﴾ أي ذلك الذي بيَّنا لك يارسولنا من الأخلاق الفاضلة والخلال الحميدة التي أمرناك بالأخذ بها والدعوة إلى التمسك بها، ومن الخلال القبيحة والخصال الذميمة التي نهيناك عن فعلها وحرمنا عليك إتيانها مما أوحينا إليك في كتابنا هذا من أنواع الحكم وضروب العلم والمعرفة، فلله الحمد وله المنة.

وقوله: ﴿ولا تجعل[3] مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً[4]﴾ هذه أم الحكم بدأ بها السياق وختمه بها تقريراً وتأكيداً إذ تقدم قوله تعالى: ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً﴾. والخطاب وإن كان لرسول الله ﷺ فإن كل أحد معني به فأي إنسان يشرك بربه أحداً من خلقه في عبادته فقد جعله إلهاً مع الله، ولابد أن يلقى في جهنم ملوماً من نفسه مدحوراً مبعداً من رحمة ربه التي هي الجنة. وهذا إذا مات قبل أن يتوب فيوحد ربه في عباداته. إذ التوبة إذا صحت جَبَّت ماقبلها.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ حرمة مال اليتيم أكلا أوإفساداً أو تضييعاً وإهمالاً.

٢ ـ وجوب الوفاء بالعهود وسائر العقود.

٣ ـ وجوب توفية الكيل والوزن وحرمة بخس الكيل والوزن.

---

(١) قرأ الجمهور: سيئة، وقرأ حفص: سيئه، والسيئة ضد الحسنة.

(٢) الإشارة إلى ما تقدم، والجملة مذيّل بها الكلام تنبيها على ما اشتملت عليه الآيات السبع عشرة من الحكمة تحريضاً على اتباع ما فيها وأنه خبر عظيم كما فيها الامتنان على النبي ﷺ وعلى أمته بهذه الحكم والمعارف النافعة في الدنيا والآخرة.

(٣) هذه الجملة معطوفة على مثيلاتها المتضمنة للنهي عن كبائر الذنوب وهي مؤكدة لمضمون جملة: ﴿وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه﴾.

(٤) المدحور: هو المطرود من رحمة الله المغضوب عليه من الله تعالى.

٤ - حصول البركة لمن يمتثل أمر الله في كيله ووزنه.

٥ - حرمة القول أو العمل بدون علم لما يُفْضِي إليه ذلك من المفاسد ولأن الله تعالى سائل كل الجوارح ومستشهدها على صاحبها يوم القيامة.

٦ - حرمة الكبر ومقت المتكبرين.

٧ - إنتظام هذا السياق لخمس وعشرين حكمة الأخذ بها خير من الدنيا وما فيها، والتفريط فيها هو سبب خسران الدنيا والآخرة.

أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

أفا صفاكم : الاستفهام للتوبيخ والتقريع ومعنى أصفاكم خصكم بالبنين واختارهم لكم.

ولقد صرفنا في هذا القرآن : أي بينا فيه من الوعد والوعيد والأمثال والعظات والأحكام والعبر.

ليذكروا : أي ليذكروا فيتعظوا فيؤمنوا ويطيعوا.

لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا : أي لَطَلَبوا طريقا إلى الله تعالى للتقرب إليه وطلب المنزلة عنده.

ومن فيهن : أي في السموات من الملائكة والأرض من انسان وجان وحيوان.

وإن من شيء إلا يسبح : أي وما من شيء إلا يسبح بحمده من سائر المخلوقات.
حليما غفوراً : حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على معصيتكم إياه وعدم طاعتكم له.

معنى الآيات :

يقول تعالى مقرعاً موبخاً المشركين الذين يئدون البنات ويكرهو نهنّ ثم هم يجعلون الملائكة إناثا ﴿أفأصفاكم ربكم[1] بالبنين﴾ أي أخصكم بالبنين ﴿واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولا عظيماً﴾ أيها المشركون إذ تجعلون لله ما تكرهون افتراءً وكذباً على الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿ولقد صرفنا[2] في هذا القرآن﴾ أي من الحجج والبينات والأمثال والمواعظ الشيء الكثير من أجل أن يُذّكروا فيذكروا ويتعظوا فيُنيبوا إلى ربهم فيوحدونه وينزهونه عن الشريك والولد، ولكن ما يزيدهم القرآن وما فيه من البينات والهدى إلا نفوراً وبعداً عن الحق. وذلك لغلبة التقليد عليهم، والعناد والمكابرة والمجاحدة. وقوله تعالى: ﴿قل لو كان معه آلهة كما تقولون﴾ أي قل يانبينا لهؤلاء المشركين المتخذين لله أنداداً يزعمون أنها آلهة مع الله قل لهم لو كان مع الله آلهة كما تقولون وإن كان الواقع يكذبكم إذ ليس هناك آلهة مع الله ولكن على فرض أنه لو كان مع الله آلهة ﴿لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً﴾ أي لطلبوا طريقاً إلى ذي العرش سبحانه وتعالى يلتمسون[3] فيها رضاه ويطلبون القرب منه والزلفى إليه لجلاله وكماله، وغناه وحاجتهم وافتقارهم إليه. ثم نزه سبحانه وتعالى نفسه أن يكون معه آلهة فقال ﴿سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً﴾. وقوله: ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن[4]﴾ فأخبر تعالى منزها نفسه مُقدّساً ذاته عن الشبيه والشريك والولد والعجز، فأخبر أنه لعظمته وكماله تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن بكلمة: سبحان الله وبحمده ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ كما أخبر أنه ما من شيء من المخلوقات إلا ويسبح بحمده

---

(١) الجملة متفرعة عن جملة: ﴿ولا تجعل مع الله إلها آخر﴾ وهي متضمنة للإنكار على المشركين في تسميتهم الملائكة إناثاً ونسبتهم إلى الله تعالى إذ قالوا: الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك، كما هي متضمنة توبيخ المشركين على سوء فهمهم وقبيح قولهم بدليل قوله: ﴿انكم لتقولون قولا عظيما﴾.

(٢) من الجائز أن تكون (في) مزيدة، والقرآن: معمول لصرّفنا، إذ التصريف: صرف الشيء من جهة إلى جهة، والمراد به هنا: البيان والتكرير والانتقال من حكمة إلى حكمة ومن عبرة إلى موعظة.

(٣) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لطلبوا مع الله منازعة وقتالا كما تفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض، وقال سعيد بن جبير المعنى: إذاً لطلبوا طريقاً إلى الوصول إليه ليزيلوا ملكه لأنهم شركاؤه، وما قاله ابن عباس كالذي قاله سعيد جائز لكن ما ذهبنا إليه في التفسير أولى وألصق بمعنى الآيات والسياق.

(٤) من الملائكة والجنّ والإنس.

بلسان قَالِه وحَالِه[1] معاً فيقول سبحان الله وبحمده وقوله : ﴿ولكن لاتفقهون تسبيحهم[2]﴾ لاختلاف الألسنة واللغات. وقوله إن كان أي ﴿الله حليما﴾ : أي لا يعاجل بالعقوبة من عصاه ﴿غفورا﴾ يغفر ذنوب وزلات من تاب إليه وأناب طالباً مغفرته ورضاه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ حرمة القول على الله تعالى بالباطل ونسبة النقص إليه تعالى كاتخاذه ولداً أو شريكا.

٢ ـ مشروعية الاستدلال بالعقليات ، على إحقاق الحق وإبطال الباطل.

٣ ـ فضيلة التسبيح وهو قول: سبحان الله وبحمده حتى إن من قالها مائة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت في الكثرة مثل زبد البحر.

٤ ـ كل المخلوقات في العوالم كلها تسبح الله تعالى أي تنزهه عن الشريك والولد والنقص والعجز ومشابهة الحوادث إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

٥ ـ حلم الله يتجلى في عدم تعجيل عقوبة من عصاه ولولا حلمه لعجل عقوبة مشركي مكة وأكابر مجرميها. ولكن الله أمهلهم حتى تاب أكثرهم.

وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾

---

(١) المراد من لسان الحال: هو تسبيح الدلالة ، إذ كل محدث شاهد على أن الله خالق قادر، ولا مانع من أن يسبّح كل شيء من إنسان وحيوان ونبات وجماد والجن والملائكة إلا ذرية إبليس فإنهم لا يسبّحون بلسان القال ولكن بلسان الحال.

(٢) قوله: ﴿لاتفقهون تسبيحهم﴾ دليل على أن تسبيح كل شيء بلسان قاله ويؤيد هذا تسبيح الطعام، وسلام الحجر على رسول الله ﷺ وأدل من هذا قوله ﷺ: (لا يسمع صوت مؤذن من جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شيء إلاّ شهد له يوم القيامة).

شـــرح الكلمـات:

حجابا مستورا	: أي ساتراً لهم فلا يسمعون كلام الله تعالى.
وجعلنا على قلوبهم أكنة	: أي أغطية على القلوب فلا تعي ولا تفهم.
وفي آذانهم وقراً	: أي ثقلاً فلا يسمعون القرآن ومواعظه.
ولو على أدبارهم نفوراً	: أي فراراً من السماع حتى لايسمعوا.
بما يستمعون به	: أي بسببه وهو الهزء بالنبي ﷺ.
وإذ هم نجوى	: أي يتناجون بينهم يتحدثون سراً.
رجلاً مسحوراً	: أي مغلوباً على عقله مخدوعاً.
ضربوا لك الأمثال	: أي قالوا ساحر، وقالوا كاهن وقالوا شاعر.
فضلوا.	: أي عن الهدى فلا يستطيعون سبيلاً.

معنى الآيات:

قولـه تعـالى: ﴿وإذا قرأت القرآن﴾[1] يخبر تعالى رسوله محمداً ﷺ أنه إذا قرأ القرآن على المشركين ليدعوهم به إلى الله تعالى ليؤمنوا به ويعبدوه وحده جعل الله تعالى بينه وبين المشركين حجاباً[2] ساتراً، أو مستوراً لا يُرى وهو حقاً حائل بينهم وبين الرسول ﷺ حتى لا يسمعوا القرآن الذي يقرأ عليهم فلا ينتفعون به. وهذا الحجاب ناتج عن شدة بغضهم للرسول ﷺ وكراهيتهم لدعوته فهم لذلك لا يرونه ولا يسمعون قراءته. وقوله تعالى: ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن[3] يفقهوه﴾ جمع كنان وهوالغطاء حتى لايصل المعنى المقروء من الايات إلى قلوبهم فيفقهوه، وقوله: ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ أي وجعل تعالى في آذان أولئك المشركين الخصوم ثقلاً في آذانهم فلا يسمعون القرآن الذي يتلى عليهم، وهذا كله من الحجاب الساتر والأكنة، والوقر في الآذان عقوبة من الله تعالى لهم حرمهم بها من الهداية بالقرآن لسابقة الشر لهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ببغضهم للرسول وما جاء به وحربهم له ولما جاء به من التوحيد والدين الحق، وقوله

---

(١) روي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها قالت: لما نزلت (سورة تبّت يدا أبي لهب) اقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها (حجر ملء الكف) وهي تقول مذمّما عصينا وأمره أبينا، ودينه قلينا، والنبي ﷺ قاعد في المسجد ومعه أبو بكر قال: يارسول الله: لقد أقبلت وأنا أخاف أن تراك، قال رسول الله ﷺ إنها لن تراني فقرأ ﷺ قرآناً، فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ قالت لأبي بكر بلغني أنّ صاحبك هجاني قال لا ورب هذا البيت ما هجاك فولّت.

(٢) ساتراً أي: للرسول ﷺ حتى لا يراه من أراده بسوء، ومستوراً أي: الحجاب لا يراه المشركون وهو موجود فعلاً، ولكن لا يُرى.

(٣) أن يفقهوه أي: لئلا يفقهوه أو كراهية أن يفقهوه.

تعالى : ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾ بأن قلت لا إله إلا الله[1] ، أو ما أفهم معنى لا إله إلا الله[2] ولى المشركون على أدبارهم نفوراً[3] من سماع التوحيد لحبهم الوثنية وتعلق قلوبهم بالشرك.

وقوله تعالى ﴿نحن أعلم بما يستمعون به﴾ يقول تعالى لرسوله نحن أعلم بما يستمع به المشركون أي بسبب أنهم يستمعون من أجل الاستهزاء بك والسخرية منك ومما تتلوه لا أنهم يستمعون للعلم والمعرفة ولطلب الحق والاهتداء إليه. وقوله: ﴿إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى﴾ أي يناجي بعضهم بعضاً ﴿إذ يقول الظالمون[4]﴾ أي المشركون ﴿إن تتبعون﴾ أي لا تتبعون ﴿إلا رجلاً مسحوراً﴾ أي مخدوعاً مغلوباً على أمره، فكيف تتبعونه إذاً؟.

وقوله تعالى: ﴿انظر كيف[5] ضربوا لك الأمثال﴾ أي انظر يارسولنا كيف ضرب لك هؤلاء المشركون المعاندون الأمثال فقالوا عنك: ساحر، وشاعر، وكاهن ومجنون فضلوا في طريقهم ﴿فلا يهتدون سبيلا﴾ إنهم عاجزون عن الخروج من حيرتهم هذه التي أوقعهم فيها كفرهم وعنادهم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير قاعدة حبك الشيء يعمى ويصم: فإن الحجاب المذكور في الآية وكذا الأكنة والثقل في الآذان هذه كلها حالت دون سماع القرآن من أجل بغضهم للرسول ﷺ وللقرآن وما جاء به عن الدعوة إلى التوحيد.

٢ ـ بيان مدى كراهية المشركين للتوحيد وكلمة الإخلاص لا إله إلا الله.

٣ ـ بيان مدى ما كان عليه المشركون من السخرية والاستهزاء بالرسول والقرآن.

٤ ـ بيان اتهامات المشركين للرسول ﷺ بالسحر مرة والكهانة ثانية والجنون ثالثة بحثاً عن الخلاص من دعوة التوحيد فلم يعثروا على شيء كما قال تعالى: ﴿فضلوا فلا يستطيعون سبيلا﴾.

---

(١) أي: وأنت تقرأ القرآن.

(٢) أي: دلّ على معنى لا إله إلا الله.

(٣) يجوز أن يكون نفور جمع نافر كشهود جمع شاهد، ويجوز أن يكون مصدراً من نفر نفوراً أي: نفروا نفورا.

(٤) قولهم هذا وهم يتناجون يقولون إن تتبعون إلاّ رجلا مسحوراً أي: مطبوباً قد خبله السحر فاختلط عليه أمره. يقولون هذا حتى ينفروا الناس عنه ولا يتبعوه.

(٥) عجّبه من صنعهم كيف يقولون تارة ساحر وتارة مجنون وأخرى شاعر فضلّوا فلا يستطيعون سبيلا يرجعون معه من حيرتهم أو يتمكنون به من صدّ النّاس عنك وصرفهم عن دعوتك.

وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُل كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتاً : الاستفهام للإنكسار والاستبعاد والرُّفات الأجزاء المتفرقة.

مما يكبر في صدوركم : أي يعظم عن قبول الحياة في اعتقادكم.

فطركم : خلقكم.

فسينغضون : أي يحركون رؤوسهم تعجباً.

متى هو ؟ : الاستفهام للاستهزاء أى متى هذا البعث الذي تعدنا.

يوم يدعوكم : أي يناديكم من قبوركم على لسان إسرافيل.

فتستجيبون : أي تجيبون دعوته قائلين سبحانك اللهم وبحمدك.

وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً : وتظنون أنكم ما لبثتم في قبوركم إلا قليلا.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير العقيدة ففي الآيات قَبْلَ هذه كان تقرير التوحيد والوحي وفي هذه الآيات تقرير البعث والجزاء الآخر ففي الآية (٤٧) يخبر تعالى عن إنكار المشركين للبعث واستبعادهم له بقوله : ﴿وقالوا[1] أئذا كنا عظاماً ورفاتاً[2]﴾ أي أجزاء متفرقة كالحطام ﴿أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً[3]﴾ وفي الآية الثانية (٤٨) يأمر تعالى الرسول ﷺ أن يقول لهم

(١) هذا من قولهم الذي قالوا وهم يسمعون القرآن، ويتناجون بينهم فيقولون كذا وكذا.

(٢) الرفات: ما تكسّر وبَلي من كل شيء كالفتات، والحطام والرّضاض يقال: رُفِت الشيء رفتا أي: حطم والاستفهام إنكاري.

(٣) الاستفهام للاستهزاء مع الجحد والإنكار، و﴿خلقاً﴾: منصوب على الحال من ضمير ﴿لمبعوثون﴾.

كونوا ماشئتم فإن الله تعالى قادر على إحيائكم وبعثكم للحساب والجزاء وهو قوله تعالى؟ قل كونوا حجارة أوحديداً[1] أو خلقا مما يكبر في[2] صدوركم أي مما يعظم في نفوسكم أن يقبل الحياة كالموت[3] مثلا فإن الله تعالى سيحييكم ويبعثكم. وقوله تعالى: فسيقولون من يعيدنا؟ يخبر تعالى رسوله أن منكري البعث سيقولون له مستبعدين البعث: من يعيدنا وعلمه الجواب فقال له قل الذي فطركم أي خلقكم أول مرة وهو جواب مسكت فالذي خلقكم ثم أماتكم هو الذي يعيدكم كما بدأكم وهو أهون عليه. وقوله تعالى ﴿فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو؟﴾ يخبر تعالى رسوله بما سيقوله منكروا البعث له فيقول تعالى ﴿فسينغضون﴾ أي يحركون إليك رؤوسهم خفضاً ورفعاً استهزاء ويقولون: ﴿متى هو؟﴾ أي متى البعث أي في أي يوم هو كائن. وقوله تعالى: ﴿ قل عسى أن يكون قريبا﴾ علمه تعالى كيف يجيب المكذبين. وقوله﴿يوم يدعوكم[4] فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا﴾أي يكون بعثكم الذي تنكرونه يوم يدعوكم بأمر الله تعالى إسرافيل من قبوركم فتستجيبون أي فتجيبونه بحمد[5] الله ﴿وتظنون إن لبثتم أي لبثتم إلا قليلا أي ما لبثتم في قبوركم إلا قليلا[6] من اللبث وذلك لما تعاينون من الأهوال وتشاهدون من الأحوال المفزعة المرعبة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء وبيان حتميتها.

٢ - بيان ما كان عليه المشركون من شدة إنكارهم للبعث الآخر.

٣ - تعليم الله تعالى لرسوله كيف يجيب المنكرين المستهزئين بالتي هي أحسن.

٤ - بيان الأسلوب الحواري الهادي الخالي من الغلظة والشدة.

---

(١) الحديد: تراب معدني لا يوجد إلا في مغاور الأرض، وهو تراب غليظ وأصنافه ثمانية وأشهر أنواعه الأحمر وهو صنفان، ذكر وأنثى.

(٢) قال مجاهد: يعني السموات والأرض والجبال لعظمها في النفوس.

(٣) لأنّ الموت لا شيء أكبر منه في نفوس بني آدم، قال أمية بن الصلت:
وللموتُ خلق في النفوس فظيع
وخلقاً بمعنى مخلوق،، ومن يكبر في صدروكم صفة له.

(٤) روي أنه ﷺ قال: (انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم).

(٥) قال سعيد بن جبير يخرج الكفار من قبورهم وهم يقولون: سبحانك وبحمدك.

(٦) وقيل: هذا ما بين النفختين، وذلك أنّ العذاب يكفّ عن المعذّبين بين النفختين وذلك أربعين عاماً فينامون فإذا نفخ النفخة الثانية قالوا: من بعثنا من مرقدنا وظنّوا أنهم ما لبثوا إلّا قليلا.

٥ - استقصار مدة اللبث في القبور مع طولها لما يشاهد من أهوال البعث.

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾

شرح الكلمات:

التي هي أحسن : أي الكلمة التي هي أحسن من غيرها للطفها وحسنها.

ينزغ : أي يفسد بينهم.[1]

عدواً مبيناً : أي بيّن العداوة ظاهرها.

ربكم أعلم بكم : هذه هي الكلمة التي هي أحسن.

وما أرسلناك عليهم وكيلا : أي فيلزمك إجبارهم على الإيمان.

فضلنا بعض النبيين : أي بتخصيص كل منهم بفضائل أو فضيلة خاصة به.

وآتينا داود زبورا : أي كتاباً هو الزبور هذا نوع من التفضيل.

معنى الآيات:

مازال السياق في طلب هداية أهل مكة، من طريق الحوار والمجادلة وحدث أن بعض المؤمنين واجه بعض الكافرين اثناء الجدال بغلظة لفظ كأن توعده بعذاب النار فأثار ذلك حفائظ المشركين فأمر تعالى رسوله أن يقول للمؤمنين إذا خاطبوا المشركين أن لايغلظوا لهم القول فقال تعالى: ﴿وقل لعبادي﴾[2] أي المؤمنين ﴿يقولوا التي هي أحسن﴾ من الكلمات لتجد طريقا إلى قلوب الكافرين، وعلل لذلك تعالى فقال ﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ بالوسواس فيفسد العلائق التي

---

(١) روي أن الآية نزلت في عمر بن الخطاب وذلك أن رجلا من العرب شتمه وسبه عمر وهم بقتله فكادت تثير فتنة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلذا الآية دعوة عامة لإحسان القول في أثناء دعوة الناس وهدايتهم.

(٢) أي بالكلمات التي هي أحسن.

كان في الامكان التوصل بها إلى هداية الضالين، وذلك أن الشيطان كان ومازال للإنسان عدواً مبيناً أي بيّن العداوة ظاهرها فهو لايريد للكافر أن يسلم، ولا يريد للمسلم أن يؤجر ويثاب في دعوته. وقوله تعالى: ﴿ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم﴾ فيتوب عليكم فتسلموا. ﴿أو إن يشأ يعذبكم﴾ بأن يترككم تموتون على شرككم فتدخلوا النار. مثل هذا الكلام ينبغي أن يقول المؤمنون للكافرين لا أن يصدروا الحكم عليهم بأنهم أهل النار والمخلدون فيها فيزعج ذلك المشركين فيتمادوا في العناد والمكابرة. وقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلا﴾[1]. يقول تعالى لرسوله إنا لم نرسلك رقيبا عليهم فتجبرهم على الإسلام وإنما أرسلناك مبلغا دعوتنا إليهم بالأسلوب الحسن وهدايتهم إلينا، وفي هذا تعليم للمؤمنين كيف يدعون الكافرين إلى الإسلام.
وقوله تعالى: ﴿وربك أعلم بمن في السموات والأرض﴾ يخبر تعالى رسوله والمؤمنين ضمناً أنه تعالى أعلم بمن في السموات والأرض فضلا عن هؤلاء المشركين فهو أعلم بما يصلحهم وأعلم بما كتب لهم أو عليهم من سعادة أو شقاء، وأسباب ذلك من الإيمان أو الكفر، وعليه فلا تحزنوا على تكذيبهم ولا تيأسوا من إيمانهم، ولا تتكلفوا ما لا تطيقون في هدايتهم فقولوا التي هي أحسن واتركوا أمر هدايتهم لله تعالى هو ربهم وأعلم بهم وقوله تعالى: ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً﴾[2]، يخبر تعالى عن انعامه بين عباده فالذي فاضل بين النبيين وهم أكمل الخلق وأصفاهم فهذا فضله بالخلة كابراهيم وهذا بالتكليم كموسى، وهذا بالكتاب الحافل بالتسابيح والمحامد والعبر والمواعظ كداود، وأنت يامحمد بمغفرته لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر، وبإرسالك إلى الناس كافة إلى غير ذلك من الإفضالات وإذا تجلت هذه الحقيقة لكم وعرفتم أن الله أعلم بمن يستحق الهداية وبمن يستحق الضلالة، وكذا الرحمة والعذاب ففوضوا الأمر إليه، وادعوا عباده برفق ولين وبالتي هي أحسن من غيرها من الكلمات.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ النهي عن الكلمة الخشنة المسيئة إلى المدعو إلى الإسلام.

---

(١) الرقيب والحفيظ والوكيل والكفيل كلها بمعنى واحد في هذا السياق ومن اطلاق الوكيل وارادة الرقيب قول الشاعر:
ذكرت أبا أروى فبتّ كأنني   برد الأمور الماضيات وكيل

(٢) الزبور: كتاب ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود لعدم الحاجة إلى ذلك لوجود التوراة بينهم، وإنما هو دعاء وتحميد وتمجيد والآية صالحة لحجاج اليهود منكري نزول القرآن على محمد ﷺ.

٢ - بيان أن الشيطان يسعى للإفساد دائما فلا يمكن من ذلك بالكلمات المثيرة للغضب والحاملة على اللجج والخصومة الشديدة.

٣ - بيان نوع الكلمة التي هي أحسن مثل ﴿ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم﴾.

٤ - بيان أن الله تعالى أعلم بخلقه فهو يهب كل عبد ما أهله له حتى إنه فاضل بين أنبيائه ورسله عليهم السلام في الكمالات الروحية والدرجات العالية.

قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات :

فلا يملكون : أي لا يستطيعون.

كشف الضر : أي إزالته بشفاء المريض.

ولا تحويلا : أي للمرض من شخص مريض إلى آخر صحيح ليمرض به.

يدعون : أي ينادونهم طالبين منهم أو متوسلين بهم .

يبتغون إلى ربهم الوسيلة : أي يطلبون القرب منه بالطاعات وأنواع القربات .

كان محذورا : أي يحذره المؤمنون ويحترسون منه بترك معاصي الله تعالى .

في الكتاب مسطورا : أي في كتاب المقادير الذي هو اللوح المحفوظ مكتوبا .

أن نرسل بالآيات : أي بالآيات التي طلبها أهل مكة كتحويل الصفا إلى جبل ذهب . أو إزالة جبال مكة لتكون أرضاً زراعية وإجراء العيون فيها .

إلا ان كذب بها الأولون : إذ طالب قوم صالح بالآية ولما جاءتهم كفروا بها فأهلكهم الله تعالى .

الناقة مبصرة : أي وأعطينا ثمود قوم صالح الناقة آية مبصرة واضحة بينة .

فظلموا بها : أي كفروا بها وكذبوا فأهلكهم الله تعالى .

إلا تخويفا : إلا من أجل تخويف العباد بأنا إذا أعطيناهم الآيات ولم يؤمنوا أهلكناهم .

أحاط بالناس : أي قدرة وعلما فهم في قبضته وتحت سلطانه فلا تخفهم .

وما جعلنا الرؤيا(١) : هي ما رآه الرسول ﷺ ليلة الإسراء والمعراج من عجائب خلق الله تعالى .

والشجرة الملعونة(٢) : هي شجرة الزقوم الوارد لفظها في الصافات والدخان .

ونخوفهم : بعذابنا في الدنيا بالإهلاك والإبادة وفي الآخرة بالزقوم والعذاب الأليم .

فما يزيدهم : أي التخويف إلا طغيانا وكفراً .

معنى الآيات :

مازال السياق في تقرير التوحيد فيقول تعالى لرسوله قل يامحمد ﷺ لأولئك المشركين أدعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دون الله سبحانه وتعالى فإنهم لايملكون أن يكشفوا الضر عن مريض ولا يستطيعون تحويله عنه إلى آخر عدو له يريد أن يمسه الضر لأنهم أصنام وتماثيل لا يسمعون

---

(١) لفظ الرؤيا يطلق في الغالب على الرؤيا في المنام ، ويطلق على رؤية العين كما في هذه الآية رواية صحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وفي البخاري والترمذي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وما جعلنا الرؤيا . .﴾ الخ قال هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس .

(٢) قيل فيها ملعونة جرياً على عادة العرب في كل طعام مكروه يقولون فيه ملعون ، وجائز أن يكون المراد باللعن لعن آكلها أي : الشجرة الملعون آكلها .

ولا يبصرون فضلا عن أن يستجيبوا دعاء من دعاهم لكشفِ ضر أو تحويله إلى غيره، هذا مادلت عليه الآية الأولى (٥٤) ﴿قل أدعوا الذين زعمتم من دونه، فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾.[1]

وقوله تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾. يخبرهم تعالى بأن أولئك الذين يعبدونهم من الجنّ[2] أو الملائكة أو الأنبياء أو الصالحين هم أنفسهم يدعون ربهم ويتوسلون للحصول على رضاه. بشتى أنواع الطاعات والقربات فالذي يَعْبُدُ لَا يُعْبَد، والذي يتقرب إلى الله بالطاعات لا يتقرب إليه وإنما يتقرب إلى من هو يتقرب إليه ليحظى بالمنزلة عنده، وقوله ﴿يرجون رحمته ويخافون عذابه﴾[3]، أي أن أولئك الذين يدعوهم الجهال من الناس ويطلبون منهم قضاء حاجاتهم هم أنفسهم يطلبون الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه. لأن عذابه تعالى كان ومازال يحذره العقلاء، لأنه شديد لا يطاق. فكيف يُدعى ويُرجى ويُخاف من هو يَدعو ويَرجو ويَخاف لو كان المشركون يعقلون.

وقوله تعالى: ﴿وإن من قرية﴾[4] أي مدينة من المدن ﴿إلا نحن مهلكوها﴾ أي بعذاب إبادة قبل يوم القيامة، ﴿أو معذبوها عذاباً شديداً﴾ بمرض أو قحط أو خوف من عدو ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾ أي مكتوباً في اللوح المحفوظ، فلذا لا يستعجل أهل مكة العذاب فإنه إن كان قد كتب عليهم فإنه نازل بهم لا محالة وإن لم يكن قد كتب عليهم فلا معنى لاستعجاله فإنه غير واقع بهم وهم مرجون للتوبة أو لعذاب يوم القيامة وقوله تعالى: ﴿وما منعنا[5] أن نرسل بالآيات﴾ أي بالمعجزات وخوارق العادات ﴿إلا أن كذب بها﴾ أي بالمعجزات الأولون من الأمم فأهلكناهم[6] بتكذيبهم بها، فلو أرسلنا نبينا محمداً بمثل تلك الآيات وكذبت بها قريش

---

(١) قيل: إنه لما ابتليت قريش بالقحط، وشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ أنزل الله تعالى هذه الآية أي: ادعوا الذين تعبدون من دون الله وزعمتم أنهم آلهة لكم.

(٢) روى مسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿أولائك الذين يدعون﴾ قال: نفر من الجنّ أسلموا، وكانوا يُعْبَدون فبقي الذين كانوايعبدونهم على عبادتهم وقد أسلم النفر من الجنّ، وفي رواية قال: أنزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجنّ فأسلم الجنيّون، والذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون أي: بإسلامهم فبقوا يعبدونهم.

(٤) في الآية الجمع بين الخوف والرجاء وهما كجناحي الطائر إن انكسر احدهما لم يطر بالآخر، ولذا فلابد للمؤمن منهما فالخوف يحمل على أداء الفرائض واجتناب المحرمات، والرجاء يحمل على المسابقة في الخيرات، وبذلك تتم ولايته لربه ويأمن عاقبة أمره.

(٣) ﴿وإن من قرية﴾ أي: ظالمة حذفت الصفة للعلم بها إذ لا يأخذ الله أهل قرية إلاّ بعد ظلمهم إذ هو أعدل من يعدل وعدل، وأرحم من يرحم ورحم وقد جاء هذا الوصف في عدّة آيات منها: ﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ وفي الآية تهديد ووعيد عرفه ابن مسعود رضي الله عنه فقال: إذا ظهر الزنى والربا في قرية أذن الله في هلاكهم.

(٥) أي: وما صرفنا عن إرسالك يا رسولنا بالمعجزات التي يطالب بها المشركون إلاّ تكذيب الأولين بها وهؤلاء مثلهم لو أرسلناك بها فكذّبوا بها واستحقوا الهلاك ونحن لا نريد لهم ذلك.

لأهلكهم، وهـو تعالى لايريد أهلاكهم بل يريد هدايتهم ليهتدي على أيديهم خلقاً كثيراً من العرب والعجم والأبيض والأصفر فسبحان الله العليم الحكيم وقوله تعالى ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ أي آية مبصرة أي مضيئة بينة فظلموا بها أي كذبوا بها فعقروها فظلموا بذلك أنفسهم وعرضوها لعذاب الإبادة فأبادهم الله فأخذتهم الصيحة وهم ظالمون هذا دليل على أن المانع من الإرسـال بالآيات هو ما ذكـر تعـالى في هذه الآية وقوله تعالى: ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾[1] يخبر تعالى أنه ما يرسل الرسل مؤيدين بالآيات التي هي المعجزات والعبر والعظات إلا لتخويف الناس عاقبة الكفر والعصيان لعلهم يخافون فيؤمنون ويطيعون قوله تعالى ﴿وإذا قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾ أي اذكر يا محمد إذ قلنا لك بواسطة وحينا هذا إن ربك أحاط بالناس. فهم في قبضته وتحت قهره وسلطانه فلا ترهبهم ولا تخش منهم أحداً فإن الله ناصرك عليهم، ومنزل نقمته بمن تمادى في الظلم والعناد، وقوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك﴾ يريد رؤيا الإسراء والمعراج حيث أراه الله من آياته وعجائب صنعه وخلقه، ما أراه ﴿إلا فتنة للناس﴾ أي لأهل مكة اختباراً لهم هل يصدقون أو يكذبون، إذ ليس لازماً لتقرير نبوتك وإثبات رسالتك وفضلك أن نريك الملكوت الأعلى وما فيه من مظاهر القدرة والعلم والحكمة والرحمة.

وقوله تعالى: ﴿والشجرة الملعونة﴾ أي وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن الكريم وهي شجرة الزقوم وأنها ﴿تخرج في أصل الجحيم﴾ إلا فتنة كذلك لأهل مكة حيث قالوا كيف يصح وجود نخلة ذات طلع في وسط النار، كيف لا تحرقها النار قياساً للغائب على الشاهد وهو قياس فاسد، وقوله تعالى ﴿ونخوفهم﴾ بالشجرة الملعونة وأنها ﴿طعام الأثيم تغلي في البطون كغلي الحميم﴾ وبغيرها من أنواع العذاب الدنيوي والأخروي، وما يزيدهم ذلك إلا طغياناً كبيراً أي ارتفاعاً وتكبراً عن قبول الحق والاستجابة له لما سبق في علم الله من خزيهم وعذابهم فاصبر أيها الرسول وامض في دعوتك فإن العاقبة لك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - تقرير التوحيد بالحكم على عدم استجابة الآلهة المدعاة لعابديها.

٢ - بيان حقيقة عقلية وهي أن دعاء الأولياء والاستغاثة بهم والتوسل إليهم بالذبح والنذر هو أمر

---

(١) في السياق ما يدل على أنّ هناك رغبة في المعجزات من الكافرين والمؤمنين ولذا ذكر تعالى علل عدم إعطائها لرسوله ﷺ، فالعلة الأولى تكذيب الأولين بها ودلل بتكذيب ثمود بها والثانية أنه ما يرسل بالمعجزات من أرسلهم بها إلا لعلة التخويف فقط والثالثة إعلامه تعالى رسوله بأن ربك محيط بعباده قادر عليهم فلا تخفهم ولا تطلب الآية لهم، والرابعة: أن معجزة الإسراء والمعراج لم تكن للهداية وإنما هي للفتنة لا غير.

باطل ومضحك في نفس الوقت، إذ الأولياء كانوا قبل موتهم يطلبون الوسيلة إلى ربهم بأنواع الطاعات والقربات ومن كان يَعْبُدْ لا يُعْبَدْ. ومن كان يَتقرب لا يُتقرَّب إليه، ومن كان يَتَوَسَّلْ لا يُتوسلْ إليه بل يعبد الذي كان يُعْبَد ويَتوسل إلى الذي كان يُتوسل إليه ويتقرب إلى الذي كان يتقرب إليه، وهو الله سبحانه وتعالى.

٣ ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر.

٤ ـ بيان المانع من عدم إعطاء الرسول ﷺ الآيات على قريش.

٥ ـ بيان علة الإسراء والمعراج، وذكر شجرة الزقوم في القرآن الكريم.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

شرح الكلمات:

لمن خلقت طيناً : أي من الطين.

أرأيتك : أي أخبرني

كرمت على : أي فضَّلته علي بالأمر بالسجود له.

لأحتنكن : لأستولين عليهم فأقودهم إلى الغواية كالدابة إذا جعل الرسن في

حنكها، تُقاد حيث شاء راكبها!.

اذهب : أي منظراً إلى وقت النفخة الأولى.

جزاءً موفوراً : أي وافراً كاملاً.

واستفزز : أي واستخفف

بصوتك : أي بدعائك إياهم إلى طاعتك ومعصيتي بأصوات المزامير والأغاني واللهو.

وأجلب عليهم : أي صِحْ فيهم بركبانك ومُشاتك.

وشاركهم في الأموال : بحملهم على أكل الربا وتعاطيه.

والأولاد : بتزيين الزنا ودفعهم إليه.

وعدهم : أي بأن لا بعث ولا حساب ولا جزاء.

إلا غرورا : أي باطلاً.

ليس لك عليهم سلطان : أي إن عبادي المؤمنين ليس لك قوة تتسلط عليهم بها.

وكفى بربك وكيلاً : أي حافظاً لهم منك أيها العدوّ.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ أي اذكر يارسولنا لهؤلاء المشركين الجهلة الذين أطاعوا عدوهم وعدو أبيهم من قبل، وعصوا ربهم، اذكر لهم كيف صدّقوا ظنّ إبليس فيهم، واذكر لهم ﴿إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ فامتثلوا أمرنا ﴿وسجدوا إلا إبليس﴾ قال منكراً أمرنا، مستكبراً عن آدم عبدنا ﴿أأسجد[1] لمن خلقت طيناً﴾؟ أي لمن خلقته من الطين لأن آدم خلقه الله تعالى من أديم الأرض عذبها وملحها ولذا سمى آدم آدم، ثم قال في صلفه وكبريائه ﴿أرأيتك﴾ أي أخبرني أهذا ﴿الذي كرمت عليّ[2]﴾؟! قال هذا استصغار لآدم واستخفافا بشأنه، ﴿لئن أخرتني﴾ أي وعزتك لئن أخرْت موتي ﴿إلى يوم يبعثون لأحتنكن ذريته﴾ أي لأستولين عليهم وأسوقهم إلى أودية الغواية والضلال حتى يهلكوا مثلي ﴿إلا قليلاً[3]﴾ منهم ممن

---

(١) الاستفهام انكاري.

(٢) أي: فضّلت، والإكرام: اسم جامع لكل ما يحمد، وفي الكلام حذف تقديره أخبرني عن هذا الذي فضلته عليَّ لمَ فضلته وقد خلقتني من نار وخلقته من طين، ويصح بدون تقدير المحذوف أي: أترى هذا الذي كرّمته عليَّ لأفعلن به كذا وكذا.

(٣) ﴿إلاّ قليلا﴾: يعني المعصومين وهم الذين قال تعالى فيهم: ﴿إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ واستثناء إبليس القليل كان ظنا منه فقط كما قال تعالى: ﴿ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه﴾ وقال الحسن: ظن ذلك لأنه وسوس لآدم في الجنة ولم يجد له عزماً فحصل له بذلك هذا العلم المعبّر عنه بالظنّ إذ يطلق لفظ الظن، ويراد به العلم.

تستخلصهم لعبادتك فأجابه الرب تبارك وتعالى: ﴿قال اذهب[1]﴾ أي مُنظراً وممهلاً إلى وقت النفخة الأولى وقوله تعالى: ﴿فمن تبعك منهم﴾ أي عصاني وأطاعك ﴿فإن جهنم جزآؤكم جزآءً موفوراً﴾ أي وافراً كاملاً.

وقوله تعالى: ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾ قال هذا الإبليس بعد أن أنظره إلى يوم الوقت المعلوم أذن له في أن يعمل ما استطاع في إضلال أتباعه، ﴿واستفزز[2] من استطعت منهم بصوتك﴾ أي واستخفف منهم بدعائك إلى الباطل بأصوات المزامير والأغاني وصور الملاهي وأنديتها وجمعياتها، ﴿وأجلب[3] عليهم﴾ أي صِح على خيلك ورَجِلك[4] الركبان والمشاة وسقهم جميعاً على بني آدم لإغوائهم وإضلالهم ﴿وشاركهم في الأموال﴾ بحملهم على الربا وجمع الأموال من الحرام وفي ﴿الأولاد﴾ بتزيين الزنا وتحسين الفجور وعدهم بالأماني الكاذبة وبأن لا بعث يوم القيامة ولا حساب ولا جزاء قال تعالى: ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ أي باطلاً وكذباً وزوراً. وقوله تعالى: ﴿إن عبادي﴾ أي المؤمنين بي، المصدقين بلقائي ووعدي ووعيدي ليس لك عليهم قوة تتسلط عليهم بها، ﴿وكفى بربك وكيلا﴾ أي حافظاً لهم: منك فلا تقدر على إضلالهم ولا إغوائهم ياعدوي وعدوهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - مشروعية التذكير بالأحداث الماضية للتحذير من الوقوع في الهلاك.

٢ - ذم الكبر وأنه من شر الصفات.

٣ - تقرير عداوة إبليس والتحذير منها.

٤ - بيان مشاركة إبليس أتباعه في أموالهم وأولادهم ونساءهم.

٥ - بيان أن أصوات الأغاني والمزامير والملاهي وأندية الملاهي وجمعياتها الجميع من جند إبليس الذي يحارب به الآدمي المسكين الضعيف.

٦ - بيان حفظ الله تعالى لأوليائه، وهم المؤمنون المتقون، جعلنا الله تعالى منهم وحفظنا بما يحفظهم به إنه بر كريم.

---

(١) الأمر هنا: للإهانة والطرد والاحتقار والصغار.

(٢) الاستفزاز: طلب الفز، وهو الخفة والانزعاج، وترك التثاقل، والسين والتاء فيه لشدة طلب الاستخفاف والإزعاج.

(٣) الإجلاب: جمع الجيوش وسوقها مشتق من الجلبة التي هي الصياح إذ الجيوش تجمع بالجلبة فيهم والصياح بهم.

(٤) قرأ حفص: ﴿ورَجِلِك﴾ بكسر الجيم لغة في رجل وقرأ غيره و﴿رجْلك﴾ بسكون الجيم، والمعنى بخيلك: أي فرسانك ورجالك.

رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزۡجِى لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِى ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلًا ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات :

يزجي لكم الفلك : أي يسوقها فتسير فيه .

لتبتغوا من فضله : أي لتطلبوا رزق الله بالتجارة من إقليم إلى آخر.

وإذا مسكم الضُر : أي الشدة والبلاء والخوف من الغرق .

ضل من تدعون إلا إياه : أي غاب عنكم من كنتم تدعونهم من آلهتكم .

أعرضتم : أي عن دعاء الله وتوحيده في ذلك .

أو يرسل عليكم حاصباً : أي ريحاً ترمي بالحصباء لشدتها .

ثم لا تجدوا لكم وكيلا : أي حافظاً منه أي من الخسف أو الريح الحاصب .

قاصفاً من الريح : أي ريحاً شديدة تقصف الأشجار وتكسرها لقوتها .

علينا به تبيعاً : أي نصيراً ومعيناً يتبعنا ليثأر لكم منا .

ولقد كرمنا بني آدم : أي فضلناهم بالعلم والنطق واعتدال الخلق .

حملناهم في البر والبحر : في البر على البهائم والبحر على السفن .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير التوحيد والدعوة إليه . فقوله تعالى : ﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله﴾ يخبرهم تعالى بأن ربهم الحق الذي يجب أن يعبدوه ويطيعوه بعد أن يؤمنوا به هو الذي ﴿يزجي[1] لهم الفلك﴾ أي السفينة ﴿في البحر﴾ أي يسوقها فتسير بهم في البحر إلى حيث يريدون من أجل أن يطلبوا رزق الله لهم بالتجارة من إقليم لآخر. هذا هو إلهكم الحق[2]، أما الأصنام والأوثان فهي مخلوقة لله مربوبة له، لا تملك لنفسها فضلاً عن غيرها، نفعاً ولا ضراً.

وقوله تعالى : ﴿إنه كان بكم رحيماً﴾ ومن رحمته تعالى تسخيره البحر لهم وإزجاء السفن وسوقها فيه ليحصلوا على أقواتهم عن طريق السفر والتجارة. وقوله تعالى : ﴿وإذا مسكم الضر[3] في البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾ يذكرهم بحقيقة واقعة لهم وهي أنهم إذا ركبوا في الفلك وأصابتهم شدة من مرض أوضلال طريق أو عواصف بحرية اضطربت لها السفن وخافوا الغرق دعوا الله وحده ولم يبق من يدعوه سواه تعالى لكنهم إذا نجاهم من الهلكة التي خافوها ونزلوا بشاطىء السلامة اعرضوا عن ذكر الله وذكروا آلهتهم ونسوا ما كانوا يدعونه وهو الله من قبل ﴿وكان الانسان كفوراً﴾ هذا طبعه وهذه حاله سرعة النسيان، وشدة الكفران وقوله تعالى : وهو يخاطبهم لهدايتهم ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر﴾ يقرعهم على إعراضهم فيقول ﴿أفأمنتم﴾ الله تعالى ﴿أن يخسف[4] بكم﴾ جانب الأرض الذي نزلتموه عند خروجكم من البحر ﴿أو يرسل عليكم حاصباً﴾ أي ريحاً شديدة تحمل الحصباء[5] فيهلككم كما أهلك عاداً ﴿ثم لا تجدوا لكم﴾ من غير الله ﴿وكيلاً﴾ يتولى دفع العذاب عنكم ويقول: ﴿أم أمنتم﴾ الله تعالى ﴿أن يعيدكم فيه﴾ أي في البحر ﴿تارة أخرى﴾ أي مرة أخرى ﴿فيرسل عليكم قاصفاً من الريح﴾ أي ريحاً شديدة تقصف الأشجار وتحطمها ﴿فيغرقكم بما كفرتم﴾ أي بسبب كفركم كما أغرق آل فرعون ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ أي تابعاً يثأر لكم منا ويتبعنا مطالباً بما نلنا منكم من العذاب.

---

(١) الإزجاء: السوق قال تعالى : ﴿ألم تر أنّ الله يزجي سحاباً﴾ وقال الشاعر:

يا أيها الراكب المزجي مطيّته   سائل بني أسد ما هذه الصوت

(٢) أي : الذي يجب أن يشكروه بعبادته وحده دون من سواه.

(٣) لفظ الضرّ يعم المرض وخوف الغرق والإمساك عن الجري وأهوال حالة اضطراباته.

(٤) الخسف: انهيار الأرض بالشيء فوقها، وجانب البر: ناحية الأرض إذ البحر جانب والأرض جانب.

(٥) يقال لكل ريح تحمل التراب والحصباء: حاصب، قال الفرزدق:

مستقبلين شمال الشام يضربنا   بحاصب كنديف القطن منثور

فما لكم إذاً لاتؤمنون وتوحدون وبالباطل تكفرون. وقوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ أي فضلناهم بالنطق والعقل والعلم واعتدال الخلق ﴿وحملناهم في البر والبحر﴾ على ماسخرنا لهم من المراكب ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾(١) أي المستلذات من اللحوم والحبوب والفواكه والخُضَر والمياه العذبة الفرات. وقوله تعالى: ﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ فالآدميون أفضل من الجن وسائر الحيوانات، وخواصهم أفضل من الملائكة، وعامة الملائكة أفضل من عامة الآدميين ومع هذا فإن الآدمي إذا كفر ربه وأشرك في عبادته غيره، وترك عبادته، وتخلى عن محبته ومراقبته أصبح شر الخليقة كلها. قال تعالى: ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها، أولئك هم شر البرية﴾.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تعريف الله تعالى بذكر صفاته الفعلية والذاتية.

٢ - تذكير المشركين بحالهم في الشدة والرخاء حيث يعرفون الله في الشدة ويخلصون له الدعاء، وينكرونه في الرخاء ويشركون به سواه.

٣ - تخويف المشركين بأن الله تعالى قادر على أن يخسف بهم الأرض أو يرسل عليهم حاصباً من الريح فيهلكهم أو يردهم إلى البحر مرة أخرى ويرسل عليهم قاصفاً من الريح فيغرقهم بسبب كفرهم بالله، وعودتهم إلى الشرك بعد دعائه تعالى والتضرع إليه حال الشدة.

٤ - بيان منن الله تعالى على الانسان وأفضاله عليه في تكريمه وتفضيله.

٥ - حال الرخاء أصعب على الناس من حال الشدة بالقحط والمرض، أوغيرهما من المصائب.

٦ - الاعلان عن كرامة الآدمي وشرفه على سائر المخلوقات الأرضية.

يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ(٢) أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ

---

(١) في الآية دليل على إبطال الزهد في لذيذ الطعام كالعسل والسمن واللحم والفواكه والاكتفاء بالخبز بالملح ونحوه مع توفر طيب الطعام والشراب لأنه مخالف لمنهج السلف وفيه كفر ما أنعم الله تعالى به على عباده من طيب الرزق.

(٢) ﴿فمن أوتي﴾ معطوف على مقدر اقتضاه قوله: ﴿ندعو كل اناس بإمامهم﴾ أي فيؤتون كتبهم ﴿فمن أوتي كتابه . . .﴾ الخ.

أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟
لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ
وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ
تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ
ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾
وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ
وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

شــرح الكلمـات:

بإمامهم : أي الذي كانوا يقتدون به ويتبعونه في الخير أو الشر.

فتيلا : أي مقدار فتيل وهو الخيط الذي يوجد وسط النواة.

ومن كان في هذه أعمى : من كان في الدنيا أعمى عن حجج الله تعالى الدالة على وجوده وعلمه وقدرته، فلم يؤمن به ولم يعبده فهو في الآخرة أشد عمى وأضل سبيلاً.

وإن كادوا : أي قاربوا.

ليفتنونك : أي يستنزلونك عن الحق، أي يطلبون نزولك عنه.

لتفتري علينا غيره : أي لتقول علينا افتراءً غير الذي أوحينا إليك.

إذاً لاتخذوك خليلاً : أي لو فعلت الذي طلبوا منك فعله لاتخذوك خليلاً لهم.

ضعف الحياة وضعف الممات: أي لعذبناك عذاب الدنيا مضاعفاً وعذاب الآخرة كذلك.

ليستفزونك من الأرض : أي ليستخفونك من الأرض أرض مكة.

لا يلبثون خلافك : أي لايبقون خلفك أي بعدك إلا قليلاً ويهلكهم الله.

سنة من قد أرسلنا من قبلك : أي لو أخرجوك لعذبناهم بعد خروجك بقليل، سنتنا في الأمم.

ولا تجد لسنتنا تحويلا : أي عما جرت به في الأمم السابقة.

معنى الآيات:

يقول تعالى لرسوله في تقرير عقيدة البعث والجزاء، اذكر يارسولنا «يوم ندعو كل أناس بإمامهم» الذي كانوا يقتدون به ويتبعونه فيتقدم ذلك الإمام ووراءه أتباعه وتوزع الكتب عليهم واحداً واحداً فمن أعطى كتابه بيمينه تشريفاً له وتكريماً، فأولئك الذين أكرموا بإعطائهم كتبهم بأيمانهم، يقرأون كتابهم ويحاسبون بما فيه «ولايظلمون» أي لا ينقصون مقدار فتيل لا تنقص حسناتهم، ولا بزيادة سيئاتهم[1]. واذكر هذا لهم تعظهم به لعلهم يتعظون، وقوله تعالى: ﴿ومن كان في هذه﴾ أي الدنيا ﴿أعمى﴾ لا يبصر هذه الحجج والآيات والدلائل وأصر على الشرك، والتكذيب والمعاصي ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ أي أشد عمى ﴿وأضل سبيلا﴾ فلا يرى طريق النجاة ولا يسلكه حتى يقع في جهنم. وقوله: ﴿وإن كادوا ليفتنونك[2]﴾ أي يصرفونك ﴿عن الذي أوحينا[3] إليك﴾ من توحيدنا والكفر بالباطل وأهله. ﴿لتفتري علينا غيره﴾ أي لتقول علينا غير الحق الذي أوحيناه إليك، وإذاً لو فعلت بأن وافقتهم على ماطلبوا منك، من الإغضاء على شركهم و التسامح معهم إقراراً لباطلهم، ولو مؤقتاً، ﴿لاتخذوك خليلاً﴾ لهم وكانوا أولياء لك، وذلك أن المشركين في مكة والطائف، واليهود في المدينة كانوا يحاولون جهدهم أن يستنزلوا الرسول على شيء من الحق الذي يأمر به ويدعو إليه مكراً منهم وخديعة سياسية إذ لووافقهم على شيء لطالبوا بآخر، ولقالوا قد رجع إلينا، فهو إذاً يَتَقَوَّل، وليس بالذي يوحى إليه بدليل قبوله منا كذا وكذا وتنازله عن كذا وكذا. وقوله تعالى: ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ أي على الحق حيث عصمناك ﴿لقد كدت﴾ أي قاربت ﴿تركن[4]﴾ أي تميل ﴿إليهم شيئاً قليلاً﴾ بقبول بعض اقتراحاتهم ﴿إذاً﴾ أي لو ملت إليهم، وقبلت منهم ولو شيئاً يسيراً ﴿لأذقناك[5] ضعف الحياة وضعف الممات[6]﴾، أي لضاعفنا عليك العذاب في الدنيا والآخرة ثم لا تجد لك نصيراً ينصرك إذا نحن خذلناك وعذبناك وقوله تعالى في حادثة أخرى وهي أنهم لما فشلوا في المحاولات السلمية أرادوا استعمال القوة فقرروا إخراجه من مكة بالموت أو الحياة فأخبر تعالى

---

(١) لم يذكر من أوتي كتبهم بشمائلهم إذهم الذين خسروا أنفسهم اكتفاء بذكر من أوتوا كتبهم بأيمانهم، وقد ذكر في أول السورة: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ وذكر في سورتي الحاقة والانشقاق.

(٢) عدي فعل يفتنونك بعن لأنه مضمن معنى فعل يتعدّى بها وهو الصرف يقال: صرفه عن كذا. أي يصرفونك.

(٣) الآية مسوقة مساق الامتنان على النبي ﷺ حيث عصمه، وفيها بيان مدى ما كان المشركون يريدونه من صرف النبي ﷺ عن الحق الذي جاءه وهو يدعو إليه من التوحيد.

(٤) الركون: الميل بالركن الذي هو الجانب من جسد الإنسان واستعمل في الموافقة بعلاقة القرب.

(٥) هذه الجملة جزاء لجملة: ﴿لقد كدت تركن إليهم﴾ إذ تقدير الكلام لو ركنت إليهم لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات.

(٦) جائز أن يكون المراد بعذاب الدنيا: تراكم المصائب والأرزاء في مدّة الحياة وعذاب الممات أن يموت مكموداً مستذلاً بين من فازوا عليه بشرف سقوطه بينهم وضياع ما كان يأمله ويدعو إليه.

رسوله بذلك إعلاماً وإنذاراً، فقال: ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض﴾ أرض مكة ﴿ليخرجوك منها وإذاً﴾ أي لو فعلوا لم يلبثوا بعد إخراجك إلا زمناً قليلاً ونهلكهم كما هي سنتنا في الأمم السابقة التي أخرجت أنبياءها أو قتلتهم هذا معنى قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليستفزونك﴾[1] أي يستخفونك ﴿من الأرض ليخرجوك منها وإذاً لايلبثوا خلافك[2] إلا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا﴾ أي عما جرت به في الأمم السابقة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ الترغيب في الاقتداء بالصالحين ومتابعتهم والترهيب من الاقتداء بأهل الفساد ومتابعتهم.

٢ ـ عدالة الله تعالى في الموقف بإقامة الحجة على العبد وعدم ظلمه شيئاً.

٣ ـ عمى الدنيا عن الحق وشواهده سبب عمى الآخرة وموجباته من السقوط في جهنم.

٤ ـ حرمة الركون أي الميل لأهل الباطل بالتنازل عن شيء من الحق الثابت إرضاءً لهم.

٥ ـ الوعيد الشديد لمن يرضى أهل الباطل تملقاً لهم طمعاً في دنياهم فيترك الحق لأجلهم.

٦ ـ إمضاء سنن الله تعالى وعدم تخلفها بحال من الأحوال.

أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَٰطِلُ إِنَّ الْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ

---

(١) الاستفزاز: الحمل على الترحل، وهو استفعال من فزّ يفزّ بمعنى: بارح المكان، والمعنى: كادوا: أن يخرجوك من بلدك كرهاً ثم صرفهم الله عنك حتى خرجت برضاك واختيارك فلذا لم تنزل بهم العقوبة بخروجك من بلدك.

(٢) قرأ نافع: (خلفك) أي بعدك، وقرأ حفص (خلافك) وهي لغة في خلف بمعنى: بعد.

وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

شـــرح الكلمـات :

لدلوك الشمس : أي زوالها من كبد السماء ودحوضها إلى جهة الغرب .

إلى غسق الليل : أي إلى ظلمة الليل ، إذ الغسق الظلمة .

وقرآن الفجر : صلاة الصبح .

كان مشهوداً : تشهده الملائكة ، ملائكة الليل وملائكة النهار .

فتهجد به[1] : أي بالقرآن .

نافلة : أي زائدة عن الغرض وهي التهجد بالليل .

مقاماً محموداً : هو الشفاعة العظمى يوم القيامة حيث يحمده الأولون والآخرون .

أدخلني مدخل صدق : أي المدينة ، إدخالاً مرضياً لا أرى فيه مكروهاً .

وأخرجني مخرج صدق : أي من مكة إخراجاً لا ألتفت بقلبي إليها .

وقل جاء الحق وزهق الباطل : أي عند دخولك مكة فاتحاً لها بإذن الله تعالى .

زهق الباطل : أي ذهب واضمحل .

أعرض ونأ بجانبه : أعـرض عن الشكـر فلم يشكـر، ونـأ بجانبه : أي ثنى عطفه متبختراً في كبرياء .

على شاكلته : أي طريقته ومذهبه الذي يشاكل حاله في الهدى والضلال .

معنى الآيات :

بعد ذلك العرض الهائل لتلك الأحداث الجسام أمر تعالى رسوله بإقام الصلاة فإنها مأمن الخـائفين، ومنـار السالكين، ومعراج الأرواح إلى ساحة الأفراح فقال : ﴿أقم الصلاة لدلوك

(١) تهجّد : إذا ألقى الهجود عنه ، وهو النوم ، وقام يصلّي ، والتهجّد من الهجود وهو من الأضداد هجد : نام ، وهجد : سهر .

الشمس﴾ أي لأول دلوكها وهو ميلها من كبد السماء إلى الغرب وهو وقت الزوال ودخول وقت الظهر[1]، وقوله ﴿إلى غسق الليل﴾[2] أي إلى ظلمته، ودخلت صلاة العصر[3] فيما بين دلوك الشمس وغسق الليل، ودخلت صلاة المغرب وصلاة العشاء في غسق الليل الذي هو ظلمته، وقوله: ﴿وقرآن الفجر﴾[4] أي صلاة الصبح وهذه هي الصلوات الخمس المفروضة على أمة الإسلام، النبي وأتباعه سواء وقوله ﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ يعني محضوراً، تحضره ملائكة النهار لتنصرف ملائكة الليل، لحديث الصحيح «يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار . . . .» وقوله ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾[5] أي صلاة زائدة على الفرائض الخمس وهي قيام الليل، وهو واجب عليه ﷺ بهذه الآية، وعلى أمته مندوب إليه، مرغب فيه.

وقوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ عسى من الله تعالى تفيد الوجوب، ولذا فقد أخبر تعالى رسوله مبشراً إياه بأن يقيمه يوم القيامة ﴿مقاماً محموداً﴾ يحمده عليه الأولون والآخرون. وهو الشفاعة العظمى حيث يتخلى عنها آدم فمن دونه. . . حتى تنتهي إليه ﷺ فيقول: أنالها، أنالها، ويأذن له ربه فيشفع للخليقة في فصل القضاء، ليدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وتستريح الخليقة من عناء الموقف وطوله وصعوبته.

وقوله تعالى: ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق﴾[6]. هذه بشارة أخرى أن الله تعالى أذن لرسوله بالهجرة من تلقاء نفسه لا بإخراج قومه وهو كاره. فقال له: قل في دعائك ربي أدخلني المدينة دار هجرتي «مدخل صدق» بحيث لا أرى فيها مكروهاً، وأخرجني من مكة يوم تخرجني «مخرج صدق» غير ملتفت إليها بقلبي شوقاً وحنيناً إليها.

﴿واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ أي وسلني أن أجعل لك من لدني سلطاناً نصيراً لك على من بغاك بسوء، وكادك بمكر وخديعة، وحاول منعك من إقامة دينك، ودعوتك إلى ربك،

---

(١) ما في التفسير أشهر وأولى بالاخذ به وهو ما ذهب إليه عمر وابنه وأبو هريرة وابن عباس ومالك، ويرى غير هؤلاء من بعض الصحابة والتابعين: أنّ دلوك الشمس هو غروبها وعليه فلم تشمل الآية أوقات الصلوات الخمس بخلاف القول بدلوك الشمس: زوالها عن كبد السماء.

(٢) غسق الليل: سواده وظلمته قال ابن قيس الرَّقيّات:

إنّ هذا الليل قد غسقاً واشتكيت الهمّ والأرقا

(٣) وقت العصر إذا زاد ظل كل شيء مثله، ووقت المغرب: غروب الشمس، ووقت العشاء: ذهاب الشفق الأحمر، ووقت الصبح طلوع الفجر ووقت الظهر: زوال الشمس عن كبد السماء.

(٤) ﴿قرآن﴾: منصوب على الاغراء أي: والزم قرآن الفجر لأهميته ويصح أن ينصب على العطف أي: أقم الصلاة وأقم قرآن الفجر أي: صلاته.

(٥) ﴿نافلة لك﴾: أي نافلة لأجلك خاصة بك دون سائر أمتك.

(٦) روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ بمكة ثمّ أمر بالهجرة فنزلت: ﴿وقل ربّ أدخلني . .﴾ الخ وهو تعليم من الله لرسوله هذا الدعاء يقوله في صلاته وخارجها.

وقوله تعالى: ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾ هذه بشارة أخرى بأن الله تعالى سيفتح له مكة، ويدخلها ظافراً منتصراً وهو يكسر الأصنام حول الكعبة وكانت ثلاثمائة وستين صنماً! ويقول جاء الحق وزهق الباطل أي ذهب الكفر واضمحل. ﴿إن الباطل كان زهوقاً﴾. لا بقاء له ولا ثبات إذا صاول الحق، ووقف في وجهه، وجائز أن يكون المراد بالحق، القرآن وبالباطل الكذب والافتراء، وجائز أن يكون الحق الإسلام والباطل الكفر والشرك وأعم من ذلك، أن الحق هو كل ماهو طاعة لله عز وحل، والباطل كل طاعة للشيطان من الشرك والظلم وسائر المعاصي. وقوله تعالى: ﴿وننزل من[1] القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ أي وننزل عليك يارسولنا محمد من القرآن ما هو شفاء[2] أي ما يستشفى به من مرض الجهل والضلال والشك والوساوس ورحمة للمؤمنين دون الكافرين، لأن المؤمنين يعملون به فيرحمهم الله تعالى بعملهم بكتابه، وأما الكافرون، فلا رحمة لهم فيه، لأنهم مكذبون به تاركون للعمل بما فيه. وقوله: ﴿ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ أي ولا يزيد القرآن الظالمين وهم المشركون المعاندون الذين أصروا على الباطل عناداً ومكابرة، هؤلاء لايزيدهم ما ينزل من القرآن ويسمعونه إلا خساراً لازدياد كفرهم وظلمهم وعنادهم. وقوله تعالى: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض[3] ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤوساً﴾ يخبر الله تعالى عن الإنسان الكافر المحروم من نور الإيمان وهداية الإسلام أنه إذا أنعم عليه بنعمة النجاة من الهلاك وقد أشرف عليه بغرق أو مرض أو جوع أو نحوه، أعرض عن ذكر الله ودعائه كما كان يدعوه في حال الشدة، ونأى بجانبه أي بعد عنا فلايلتفت إلينا بقلبه، وذهب في خيلائه وكبريائه وقوله تعالى: ﴿وإذا مسه الشر كان يؤوساً[4]﴾ أي قنوطاً. هذا هو الكافر، ذو ظلمة النفس لكفره وعصيانه. إذا مسه الشر من جوع أو مرض أو خوف أحاط به كان يؤوساً أي كثير اليأس والقنوط تامهما، لعدم إيمانه بالله ورحمته وقدرته على إنجائه وخلاصه.

وقوله تعالى: ﴿قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ أي قل يارسولنا للمشركين، كل منا ومنكم يعمل على طريقته ومذهبه بحسب حاله هداية وضلالاً. والله تعالى ربكم أعلم بمن هو أهدى منا ومنكم سبيلا. ويجزي الكل بحسب عمله وسلوكه. وهذه كلمة

---

(١) ﴿مِنْ﴾: بيانية أي: مبيّنة للموصول، ما هو شفاء وليست للابتداء ولا هي زائدة أي: وننزّل القرآن الذي هو شفاء وهدى ورحمة للمؤمنين.

(٢) وقد يستشفى بالقرآن من الأمراض الجسمية ففي البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ بعثهم وكانوا ثلاثين راكباً فنزلوا على قوم من العرب فسألوهم أن يضيّفوهم فأبوا فلدغ سيّد الحي فأتاهم آت وقال لهم: هل فيكم من يرقي من العقرب؟ قلنا: نعم لكن حتى تعطونا فقالوا: إنّا نعطيكم ثلاثين شاة فرقاه بفاتحة الكتاب قرأها عليه سبع مرات فشفي فأخذوا الثلاثين شاة فأتوا بها رسول الله ﷺ فقال لهم كلوا وأطعمونا من الغنم.

(٣) المراد بالإنسان هنا: الكافر لا المؤمن وال فيه للجنس فيشمل اللّفظ كل إنسان كافر لم يهتد إلى الإسلام.

(٤) كونه يؤوساً: لا يتعارض مع كثرة دعائه كما في قوله تعالى: ﴿فذو دعاء عريض﴾ إذ يدعو وهو قانط.

مفاصلة قاطعة، للنزاع الناجم عن كون كل يدعى أنه على الحق وأن دينه أصوب، وطريقته أمثل وسبيله أجدى وأنفع.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ وجوب إقامة الصلاة وبيان أوقاتها المحددة لها.

٢ ـ الترغيب في النوافل، وخاصة التهجد أي «نافلة الليل».

٣ ـ تقرير الشفاعة العظمى للنبي ﷺ.

٤ ـ ضعف الباطل وسرعة تلاشيه إذا صاوله الحق ووقف في وجهه.

٥ ـ القرآن شفاء لأمراض القلوب عامة ورحمة بالمؤمنين خاصة.

٦ ـ بيان طبع المرء الكافر وبيان حال الضعف الملازم له.

٧ ـ تعليم الرسول ﷺ والمؤمنين كيف يتحصنون من الجدال الفارغ والحوار غير المثمر.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

شرح الكلمات:

يسألونك عن الروح : أي يسألك المشركون بواسطة أهل الكتاب عن الروح الذي يحيا به البدن.

من أمر ربي	: أي من شأنه وعلمه الذي استأثر به ولم يعلمه غيره .
لنذهبن بالذي أوحينا إليك	: أي القرآن بأن نمحوه من الصدور والمصاحف لفعلنا .
لك به علينا وكيلا	: يمنع ذلك منا ويحول دون ما أردناه منك .
إلا رحمة من ربك	: أي لكن أبقيناه عليك رحمة من ربك فلم نذهب به .
بمثل هذا القرآن	: من الفصاحة والبلاغة والمحتوى من الغيوب والشرائع والأحكام .
ظهيراً	: أي معيناً ونصيراً .
صرفنا	: بينا للناس مثلاً من جنس كل مثل ليتعظوا به فيؤمنوا ويوحدوا .
فأبى أكثر الناس	: أي أهل مكة إلا كفوراً أي جحوداً للحق وعناداً فيه .

معنى الآيات :

يقول تعالى : ﴿ويسألونك عن الروح﴾[1] إذ قد سأله المشركون عن الروح وعن أصحاب الكهف ، وذي القرنين بإيعاز من يهود المدينة فأخبره تعالى : بذلك وعلمه الرد عليهم فقال : ﴿قل الروح من أمر ربي﴾[2] وعلمه الذي لا يعلمه إلا هو ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً لأن سؤالهم هذا ونظائره دال على إدعائهم العلم فأعلمهم أن ما أوتوه من العلم إلا قليل بجانب علم الله تعالى[3] وقوله تعالى : ﴿ولئن شئنا لنذهبنّ[4] بالذي أوحينا إليك﴾ هذا امتنان من الله على رسوله الذي أنزل عليه القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين بأنه تعالى قادر على محوه من صدره . وسطره ، فلا تبقى منه آية ثم لا يجد الرسول وكيلاً له يمنعه من فِعْلِ الله به ذلك ولكن رحمة منه تعالى لم يشأ ذلك بل يبقيه إلى قرب قيام الساعة حجة الله على عباده وآية على نبوة محمد ﷺ ، وصدق رسالته ، وليس هذا بأول إفضال من الله تعالى على رسوله ، بل فضل الله عليه كبير ، ولنذكر من ذلك طرفاً وهو

---

(١) روى ابن إسحق أنّ قريشاً بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود ويثرب يسألانهم عن أمر النبي ﷺ فقال اليهود لهما : سلوه عن ثلاثة وذكروا لهما أهل الكهف وذا القرنين وعن الروح ، فإن أخبركم عن اثنين وأمسك عن واحدة فهو نبي وإلاّ فروا رأيكم فيه فأنزل الله تعالى سورة الكهف وفيها الجواب عن أصحاب الكهف ، وذي القرنين ، وأنزل هذه الآية : ﴿يسألونك عن الروح﴾ .

(٢) يطلق الروح على ملك من الملائكة عظيم ويطلق على جبريل ويطلق على هذا الموجود الخفي المنتشر في سائر الجسد الإنساني الذي دلت عليه آثاره من الإدراك والتفكير وهو المسؤول عنه في هذه الآية ، وسؤالهم كان عن بيان حقيقته وماهيته .

(٣) لفظ الآية عام وإن كان سبب نزولها خاصاً إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فإنه ما أوتي أحد علماً إلاّ وهو إلى جانب علم الله تعالى قليل .

(٤) روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قوله : إنّ هذا القرآن الذي أظهركم يوشك أن ينزع منكم . قالوا : كيف ينزع منا وقد أثبته الله في قلوبنا وكتبناه في المصاحف قال : يسرى عليه في ليلة واحدة فينزع ما في القلوب ويذهب ما في المصاحف ويصبح الناس منه فقراء ثمّ قرأ : ﴿ولئن شئنا لنذهبنّ﴾ الآية .

عمـوم رسـالته، كونه خاتم الأنبياء، العروج به إلى الملكوت الأعلى، إمامته للأنبياء الشفاعة العظمى، والمقام المحمود.

وقوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت[1] الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ لاشك أن هذا الذي علم الله رسوله أن يقوله له سبب وهو ادعاء بعضهم أنه في إمكانه أن يأتي بمثل هذا القرآن الذي هو آية صدق نبوة محمد ﷺ، وبذلك تبطل الدعوى، وينتصر باطلهم على الحق. فأمر تعالى رسوله أن يرد على هذا الزعم الباطل بقوله: قل يارسـولنـا لهؤلاء الـزاعمين الإتيان بمثل هذا القرآن لئن اجتمعت الإنس والجن متعاونين متظاهرين على الاتيان بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، ذلك لأنه وحي الله وكتابه، وحجته على خلقه. وكفى. فكيف إذا يمكن للإنس والجن أن يأتوا بمثله؟!

وقوله: ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن﴾ أي بينا مثلاً من جنس كل مثل من أجل هداية الناس وإصلاحهم علهم يتذكرون فيتعظون، فيؤمنون ويوحدون فأبى أكثر الناس إلا كفوراً أي جحوداً بالحق، وإنكاراً للقرآن وتكذيبا به وبما جاء فيه من الحق والهدى والنور، لما سبق القضاء الإلهي من امتلاء جهنم بالغاوين وجنود إبليس أجمعين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ علم الروح مما استأثر الله تعالى به.

٢ ـ ما علم أهل العلم إلى علم الله تعالى إلا كما يأخذ الطائر بمنقاره من ماء المحيط.

٣ ـ حفظ القرآن في الصدور والسطور إلى قرب الساعة.

٤ ـ عجز الإنس والجن عن الإتيان بقرآن كالقرآن الكريم.

٥ ـ لما سبق في علم الله من شقاوة الناس تجد أكثرهم لا يؤمنون.

وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا

(١) نزلت هذه الآية رداً على كفار قريش عندما قال النضر بن الحارث وغيره لو نشاء لقلنا مثل هذا. ومعنى ظهيراً: أي: عوناً ونصيراً كما يتعاون الشعراء على قصيد الشعر.

﴿زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾

شــرح الكلمـات :

ينبوعاً : عيناً لا ينضب ماؤها فهي دائمة الجريان.

جنة : بستان كثير الأشجار.

كسفاً : قطعاً جمع كسفة كقطعة.

قبيلا : مقابلة لنراهم عياناً

من زخرف : من ذهب.

ترقى : تصعد في السماء

مطمئنين : ساكنين في الأرض لا يبرحون منها.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في الدعوة إلى التوحيد والنبوة والبعث وتقرير ذلك. فقال تعالى مخبراً عن قيلهم لرسول الله وهم يجادلون في نبوته: فقالوا: ﴿لن نؤمن لك﴾[1] أي لن نتابعك على ماتدعو إليه من التوحيد والنبوة لك والبعث والجزاء لنا ﴿حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا﴾ أي

---

(١) نزلت هذه الآية في رؤساء قريش مثل: عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبي سفيان والنضر بن الحارث وأبي جهل وأمية بن خلف وغيرهم حيث اجتمعوا حول الكعبة ليلا وبعثوا إلى الرسول ﷺ وكان حريصاً على هدايتهم فأتاهم فقالوا له كلاماً طويلاً ثم خلصوا إلى ما ذكر تعالى في هذه الآية وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الخ.

عيناً يجري ماؤها على وجه الأرض لا ينقطع ﴿أو تكون لك جنة﴾ أي بستان من نخيل وعنب، ﴿فتفجر الأنهار خلالها﴾ أي خلال الأشجار تفجيراً، ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً[1]﴾ أي قطعاً، ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلا[2]﴾ أي مقابلة نراهم معاينة، ﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾ أي من ذهب تسكنه بيننا ﴿أو ترقى في السماء﴾ أي تصعد بسلم ذي درج في السماء، ﴿ولن نؤمن لرقيك[3]﴾ إن أنت رقيت ﴿حتى تنزل علينا كتاباً﴾ من عند الله ﴿نقرأه﴾ يأمرنا فيه بالإيمان بك واتباعك! هذه ست طلبات كل واحدة اعتبروها آية متى شاهدوها زعموا أنهم يؤمنون، والله يعلم أنهم لا يؤمنون، فلذا لم يستجب لهم وقال لرسوله: قل يامحمد لهم: ﴿سبحان الله﴾ متعجباً من طلباتهم ﴿هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾؟! أي هل كنت غير بشر رسول؟ وإلا كيف يطلب مني هذا الذي طلبوا، إن ماتطلبونه لا يقدر عليه عبد مأمور مثلي، وإنما يقدر عليه رب عظيم قادر، يقول للشيء كن. . . فيكون! وأنا ما ادعيت ربوبية، وإنما أصرح دائماً بأني عبدالله ورسوله إليكم لأبلغكم رسالته بأن تعبدوه وحده ولا تشركوا به سواه وتؤمنوا بالبعث الآخر وتعملوا له بالطاعات وترك المعاصي. وقوله تعالى: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى﴾ أي ومامنع أهل مكة أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى[4] على يد رسولهم ﴿إلا أن قالوا﴾ أي إلا قولهم ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾؟ منكرين على الله أن يبعث رسولاً من البشر!

وقوله تعالى: ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾ أي قل يارسولنا لهؤلاء المنكرين أن يكون الرسول بشراً، المتعجبين من ذلك، قل لهم: لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ساكنين في الأرض لايغادرونها لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً يهديهم بأمرنا ويعلمهم ما يطلب منهم فعله بإذننا لأنهم يفهمون عنه لرابطة الجنس بينهم والتفاهم الذي يتم لهم. ولذا بعثنا إليكم رسولاً من جنسكم تفهمون مايقول لكم يقدر على إفهامكم والبيان لكم فكيف إذاً تنكرون الرسالة للبشر وهي أمر لا بد منه؟!

---

(١) الكسف: بفتح السين جمع كسفة بإسكانها، قرأ نافع كسفاً بفتح السين وكذا عاصم وقرأ غيرهما كسفاً بإسكان السين أي: قطعة.

(٢) فسر قبيلاً بعدّة تفسيرات قال ابن عباس: كفيلا، وقال مقاتل: شهيداً، وقال مجاهد جمع القبيلة أي: بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة، وقيل ضمناء يضمنون لنا إتيانك به وما في التفسير أولى وأظهر في تفسير الآية.

(٣) الرقي: مصدر رقى يرقي رقياً ورُقيا أي: صعد المنبر ونحوه.

(٤) الهدى: أي ما يحقق الهداية من الكتب والرسل من عند الله تعالى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تقرير نبوة الرسول ﷺ.

٢ - بيان شدة عناد مشركي قريش، وتصلبهم وتحزبهم إزاء دعوة التوحيد.

٣ - بيان سخف عقول المشركين برضاهم للألوهية بحجر وإنكارهم الرسالة للبشر!

٤ - تقرير أن التفاهم حسب سنة الله لايتم إلا بين المتجانسين فإذا اختلفت الأجناس فلا تفاهم إلا أن يشاء الله فلا يتفاهم انسان مع حيوان أو جان.

قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾

شرح الكلمات :

شهيداً : على أني رسول الله إليكموقد بلغتكم وعلى أنكم كفرتم وعاندتم.

فلن تجد لهم أولياء : أي يهدونهم.

على وجوههم : أي يمشون على وجوههم.

عمياً وبكماً وصماً : لايبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون.

كلما خبت : أي سكن لهبها زدناهم سعيراً أي تلهباً واستعاراً.

وقالوا : أي منكرين للبعث.

مثلهم : أي أناساً مثلهم.

أجلاً : وقتا محدداً.

معنى الآيات :

مازال السياق في تقرير النبوة المحمدية إذ يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ: قل لأولئك المنكرين أن يكون الرسول بشراً، ﴿كفى[1] بالله شهيداً بيني وبينكم﴾ على أني رسوله وأنتم منكرون عليَّ ذلك.

إنه تعالى كان ومازال ﴿بعباده خبيراً﴾ أي ذا خبرة تامة بهم ﴿بصيراً﴾ بأحوالهم يعلم المحق منهم من المبطل، والصادق من الكاذب وسيجزي كلاً بعدله ورحمته.

وقوله تعالى: ﴿ومن يهد الله فهو المهتد[2]﴾ يخبر تعالى أن الهداية بيده تعالى فمن يهده الله فهو المهتدي بحق، ﴿ومن يضلل فلن تجد لهم[3] أولياء من دونه﴾ أي يهدونهم بحال من الأحوال، وفي هذا الكلام تسلية للرسول وعزاء له في قومه المصرّين على الجحود والانكار لرسالته.

وقوله: ﴿ونحشرهم يوم القيامة﴾ أي أولئك المكذبين الضالين الذين ماتوا على ضلالهم وتكذيبهم فلم يتوبوا نحشرهم يوم القيامة، يمشون على وجوههم[4] حال كونهم عمياً لايبصرون، بكماً لاينطقون، صماً[5] لايسمعون وقوله تعالى: ﴿مأواهم جهنم﴾ أي محل استقرارهم في ذلك اليوم جهنم الموصوفة بأنها ﴿كلما خبت﴾ أي سكن لهبها عنهم زادهم الله سعيراً أي تلهباً

---

(١) روي أن نفراً من قريش قالوا حين سمعوا قوله: ﴿هل كنت إلاّ بشرا رسولا﴾ فمن يشهد لك أنك رسول الله؟ فنزل: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيراً بصيرا﴾.

(٢) حذفت الياء ليوقف على الدّال بالسكون وهي لغة فصيحة وفي حال الوصل يؤتى بالياء نطقا بها.

(٣) جمع الضمير (لهم) مراعاة إلى أن (من) تكون للواحد والمتعدد.

(٤) أي: يسحبون على وجوههم إهانة لهم كما يفعل في الدنيا بمن ينتقم منه حيث يسحبونه على وجهه في الأرض إهانة، ومن سورة القمر قال تعالى: ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر﴾ وجائز أن يمشوا على وجوههم عند حشرهم إلى جهنم فإذا دخلوها سحبوا على وجوههم لحديث أنس: (أليس الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه؟) في جواب سائل قال أفيحشر الكفّار على وجوههم؟

(٥) هذا في حال حشرهم إلى جهنم وكانوا قبل ذلك يسمعون ويبصرون وينطقون ثم إذا دخلوها عادت إليهم حواسهم للآيات القرآنية المصرّحة بذلك منها: ﴿ورأى المجرمون..﴾ ومنها: ﴿سمعوا لها تغيظاً وزفيرا﴾ ومنها: ﴿قالوا يا مالك ليقض علينا ربك..﴾

واستعاراً. وقوله تعالى: ﴿ذلك جزاؤهم﴾ أي ذلك العذاب المذكور جزاؤهم بأنهم كفروا بآيات الله أي بسبب كفرهم بآيات الله. وقولهم إنكاراً للبعث الآخر واستبعاداً له: ﴿أإذا كنا عظاماً ورُفاتاً﴾ أي تراباً ﴿أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾ ورد الله تعالى على هذا الاستبعاد منهم للحياة الثانية فقال: ﴿أو لم يروا﴾ أي أينكرون البعث الآخر؟ و لم يروا بعيون قلوبهم ﴿أن الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم﴾؟؟! بلى إنه لقادر لو كانوا يعلمون!

وقوله تعالى: ﴿وجعل لهم أجلاً﴾ [1] أي وقتاً محدوداً معيناً لهلاكهم وعذابهم ﴿لاريب فيه﴾ وهم صائرون إليه لا محالة، وقوله: ﴿فأبى الظالمون إلا كفوراً﴾ أي مع هذا البيان والاستدلال العقلي أبى الظالمون إلا الجحود والكفران ليحق عليهم كلمة العذاب فيذوقوه والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ عظم شهادة الله تعالى ووجوب الاكتفاء بها.

٢ ـ الهداية والاضلال بيد الله فيجب طلب الهداية منه والاستعاذة به من الضلال.

٣ ـ فظاعة عذاب يوم القيامة إذ يحشر الظالمون يمشون على وجوههم كالحيات وهم صم بكم عمي والعياذ بالله تعالى من حال أهل النار.

٤ ـ جهنم جزاء الكفر بآيات الله والانكار للبعث والجزاء يوم القيامة.

٥ ـ دليل البعث عقلي كما هو نقلي فالقادر على البدء، قادر عقلاً على الإعادة بل الاعادة ـ عقلاً ـ أهون من البدء للخلق من لا شيء.

قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ

(١) جملة: ﴿وجعل لهم أجلا لا ريب فيه﴾ معطوفة على جملة ﴿أو لم يروا﴾ لتأويلها بمعنى: قد رأوا ذلك لو كانوا يعقلون. الأجل: الزمن المجعول غاية يبلغ إليها في حال من الأحوال والمراد به هنا مدّة حياتهم.

هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

شـرح الكلمـات :

خزائن رحمة ربي : أي من المطر والأرزاق

لأمسكتم : أي منعتم الانفاق.

خشية الإنفاق : خوف النفاد.

قتـوراً : أي كثير الاقتار أي البخل والمنع للمال.

تسع آيات بينات : أي معجزات بينات أي واضحات وهو اليد والعصا والطمس إلخ.

مسحوراً : أي مغلوباً على عقلك، مخدوعاً.

ما أنزل هؤلاء : أي الآيات التسع.

مثبوراً : هالكاً بانصرافك عن الحق والخير.

فأراد أن يستفزهم : أي يستخفهم ويخرجهم من ديار مصر.

اسكنوا الأرض : أي أرض القدس والشام.

الآخرة : أي الساعة.

لفيفاً : أي مختلطين من أحياء وقبائل شتى.

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله ﷺ، قل يامحمد لأولئك الذين يطالبون بتحويل جبل الصفا إلى ذهب، وتحويل المنطقة حول مكة إلى بساتين من نخيل وأعناب تجري الأنهار من خلالها، قل لهم، لوكنتم أنتم تملكون خزائن رحمة ربي من الأموال والأرزاق لأمسكتم بخلا بها ولم تنفقوها خوفاً من نفادها إذ هذا طبعكم، وهو البخل، ﴿وكان الإنسان﴾ قبل هدايته وإيمانه ﴿قتوراً﴾ أي كثير التقتير بخلاً وشحاً نفسياً ملازماً له حتى يعالج هذا الشح بما وضع الله تعالى من دواء نافع جاء بيانه في سورة المعارج[1] من هذا

(١) هو قوله تعالى: ﴿إنّ الإنسان خلق هلوعاً إذا مسّه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلاّ المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ إلى قوله: ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾.

الكتاب الكريم.

وقوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾[1] أي، ولقد أعطينا موسى بن عمران نبي بني إسرائيل تسع آيات وهي: اليد، والعصا والدم[2]، وانفلاق البحر، والطمس على أموال آل فرعون، والطوفان والجراد والقمل والضفادع، فهل آمن عليها آل فرعون؟! لا، إذاً، فلو أعطيناك ما طالب به قومك المشركون من الآيات الست التي اقترحوها وتقدمت في هذه السياق الكريم مبينة، ما كانوا ليؤمنوا بها، ومن هنا فلا فائدة من إعطائك إياها.

وقوله تعالى: ﴿فاسأل بني إسرائيل﴾ أي سل يانبينا علماء بني إسرائيل كعبد الله بن سلام وغيره، إذ جاءهم موسى بطالب فرعون بإرسالهم معه ليخرج بهم إلى بلاد القدس، وأرى فرعون الآيات الدالة على صدق نبوته ورسالته وأحقية مايطالب به فقال له فرعون: ﴿إني لأظنك ياموسى مسحوراً﴾ أي ساحراً لإظهارك ما أظهرت من هذه الخوارق، ومسحوراً بمعنى مخدوعاً مغلوباً على عقلك فتقول الذي تقول مما لا يقوله العقلاء فرد عليه موسى بقوله بما أخبر تعالى به في قوله ﴿لقد علمت﴾ أي فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات البينات إلا رب السماوات أي خالقها ومالكها والمدبر لها ﴿بصائر﴾ أي آيات واضحات مضيئات هاديات لمن طلب الهداية، فعميت عنها وأنت تعلم صدقها ﴿وإني لأظنك يافرعون مثبوراً﴾[3]! أي من أجل هذا أظنك يافرعون ملعوناً، من رحمة الله مبعداً مثبوراً هالكاً. فلما أعيته أي فرعون الحجج والبينات لجأ إلى القوة، ﴿فأراد أن يستفزهم من الأرض﴾ أي يستخفهم من أرض مصر بالقتل الجماعي استئصالاً لهم، أو بالنفي والطرد والتشريد، فعامله الرب تعالى بنقيض، قصده فأغرقه الله تعالى هو وجنوده أجمعين، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فأغرقناه ومن معه﴾ أي من الجنود ﴿أجمعين﴾ وقوله تعالى:

---

(١) روى الترمذي وصححه والنسائي عن صفوان بن عسال المرادي: أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله، فقال: لا تقل له نبي فإنه إن سمعنا كان له أربعة أعين، فأتيا النبي ﷺ فسألاه عن قول الله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات﴾ فقال: لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تَمْشوا ببريء إلى سلطان فيقتله، ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة ولا تفرّوا من الزحف، وعليكم يا معشر يهود خاصة ألّا تعدوا في السبت فقبّلا يديه ورجليه وقالا: نشهد أنك نبي قال: ما يمنعكما أن تؤمنا؟ قالا: إن داود دعا الله ألّا يزال في ذريته نبي وإنّا نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا اليهود). وعليه فالمراد بالآيات: آيات التشريع في التوراة، وهذا وجه. ولا منافاة مع تفسير الآيات بالمعجزات التسع كما في التفسير.

(٢) لا خلاف في اليد والعصا والطوفان والجراد والقمّل والدم وإنما الخلاف في الثلاث الباقية وانفلاق البحر مجمع عليه وإنما في الطمس والحجر لان الحجر كان في التيه بعد نجاة بني اسرائيل.

(٣) الظنّ هنا بمعنى التحقيق، وذكر لكلمة مثبور عدة معان كلها صحيحة منها: الهلاك والخسران والخبال والمنع من الخير، قال ابن الزّبعرى:

إذ أجاري الشيطان في سنن الغـيّ ومَنْ مال مَيْلَهُ مثبورُ — أي هالك وخاسر.

﴿وقلنا من بعده﴾ أي من بعد هلاك فرعون وجنوده لبني إسرائيل على لسان موسى عليه السلام ﴿اسكنوا الأرض﴾ أي أرض القدس والشام إلى نهاية آجالكم بالموت. ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أي يوم القيامة بعثناكم أحياء كغيركم، ﴿وجئنا بكم لفيفاً﴾ أي مختلطين من أحياء وقبائل وأجناس شتى لا ميزة لأحد على آخر، حفاة عراة لفصل القضاء ثم الحساب والجزاء.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - الشح من طبع الانسان إلا أن يعالجه بالإيمان والتقوى فيقيه الله منه.[1]

٢ - الآيات وحدها لا تكفي لهداية الإنسان بل لا بد من توفيق إلهي.

٣ - مظاهر قدرة الله تعالى وانتصاره لأوليائه وكبت أعدائه.

٤ - بيان كيفية حشر الناس يوم القيامة لفيفاً أخلاطاً من قبائل وأجناس شتى.

وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿١٠٥﴾ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا۩ ﴿١٠٩﴾

شــرح الكلمــات :

وبالحق أنزلناه : أي القرآن.

وبالحق نزل : أي نزل ببيان الحق في العبادات والعقائد والأخبار والمواعظ والحكم والأحكام

وقرآناً فرقناه : أن نزلناه مفرقاً في ظرف ثلاث وعشرين سنة لحكمة اقتضت ذلك.

على مكث : أي على مهل وتؤده ليفهمه المستمع إليه.

---

(١) قال تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولائك هم المفلحون﴾.

ونزلناه تنزيلاً : أي شيئاً فشيئاً حسب مصالح الأمة لتكمل به ولتسعد عليه.

أوتوا العلم من قبله : أي مؤمنوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي.

للأذقان سجداً : أي سجداً على وجوههم، ومن سجد على وجهه فقد خرَّ على ذقنه ساجداً.

إن كان وعد ربنا لمفعولاً: منجزاً، واقعاً، فقد أرسل النبي الأمي الذي بشرت به كتبه وأنزل عليه كتابه.

معنى الآيات:

يقول تعالى: ﴿وبالحق أنزلناه﴾ أي ذلك الكتاب الذي جحد به الجاحدون، وكذب به المشركون أنزلناه بالحق الثابت حيث لا شك أنه كتاب الله ووحيه إلى رسوله، و﴿بالحق نزل﴾ فكل ماجاء فيه ودعا إليه وأمر به. وأخبر عنه من عقائد وتشريع وأخبار ووعد ووعيد كله حق ثابت لا خلاف فيه ولا ريبة منه. وقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾ أي لم نرسلك لخلق الهداية في قلوب عبادنا ولا لإجبارهم بقوة السلطان على الإيمان بنا و توحيدنا، وإنما أرسلناك للدعوة والتبليغ ﴿مبشراً﴾ من أطاعنا بالجنة ومنذراً من عصانا مخوفاً من النار. وفي هذا تقرير لرسالته ﷺ ونبوته وقوله تعالى: ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ أي أنزلنا القرآن وفرقناه في خلال ثلاث وعشرين سنة لحكمة منا اقتضت ذلك وقوله ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ آيات بعد آيات ليكون ذلك أدْعَى إلى فهم من يسمعه ويستمع إليه، وقوله تعالى: ﴿ونزلناه تنزيلا﴾[1] أي شيئاً فشيئاً حسب[2] مصالح العباد وما تتطلبه تربيتهم الروحية والانسانية ليكملوا به، عقولاً وأخلاقاً وأرواحاً ويسعدوا به في الدارين وقوله تعالى: ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا﴾ أي قل يارسولنا للمنكرين للوحي القرآني مِنْ قومك، آمنوا به أولا تؤمنوا فإن إيمانكم به كعدمه لا يغير من واقعه شيئاً فسوف يؤمن به ويسعد عليه غيركم إن لم تؤمنوا أنتم به وهاهم أولاء الذين أوتوا العلم من قبله من علماء أهل الكتابين اليهود والنصاري قد آمنوا به، يريد أمثال عبدالله بن سلام وسلمان الفارسي والنجاشي أصحم الحبشي وإنهم ﴿إذا يتلى عليهم﴾ أي يُقرأ عليهم ﴿يخرون للأذقان سجداً﴾ أي يخرون ساجدين على أذقانهم ووجوههم ويقولون حال سجودهم ﴿سبحان ربنا﴾[3]

---

(١) قال القرطبي: لا خلاف في أنه نزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة.

(٢) ﴿تنزيلا﴾: مصدر مؤكد لنزوله نجما بعد نجم وهو معنى مفرّقا آية بعد آية وسورة بعد سورة حتى اكتمل نزوله.

(٣) في الآية دليل على مشروعية التسبيح في السجود وشاهده من السنة رواية مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في سجوده وركوعه سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي) وورد أنه فعله استجابة لقول الله تعالى ﴿فسبّح بحمد ربك واستغفره﴾ آخر سورة النصر.

أي تنزيهاً له أن يخلف وعده إذ وعد أنه يبعث نبي آخر الزمان وينزل عليه قرآناً، ﴿إن كان وعد ربنا لمفعولا﴾ إقراراً منهم بالنبوة المحمدية والقرآن العظيم، أي ناجزاً إذ وعد بإرسال النبي الخاتم وإنزال الكتاب عليه فأنجز ما وعد، وهكذا وعد ربنا دائماً ناجز لا يتخلف. وقوله ﴿ويخرون للأذقان[1] يبكون[2]﴾ أي عندما يسمعون القرآن لايسجدون فحسب بل يخرون يبكون ويزيدهم سماع القرآن وتلاوته خشوعاً في قلوبهم واطمئناناً في جوارحهم لأنه الحق سمعوه من ربهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ ـ القرآن حق من الله وما نزل به كله حق.

٢ ـ الندب إلى ترتيل القرآن لاسيما عند قراءته على الناس لدعوتهم إلى الله تعالى.

٣ ـ تقرير نزول القرآن مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة.

٤ ـ تقرير النبوة المحمدية بنزول القرآن وإيمان من آمن به من أهل الكتاب.

٥ ـ بيان حقيقة السجود وأنه وضع الوجه على الأرض.

٦ ـ مشروعية السجود للقارىء أو المستمع وسنية ذلك عند قراءة هذه الآية وهي ﴿يخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾ فيخر ساجداً مكبراً في الخفض وفي الرفع قائلا: الله أكبر ويسبح ويدعو في سجوده بما يشاء.

قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

---

(١) ﴿الأذقان﴾ جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين، والسجود على الجبهة والأنف وإنما ذكر الأذقان هنا لأنّ اللحية تصل إلى الأرض قبل الجبهة والأنف إذا كانت طويلة كما هي السنة.

(٢) دلت الآية على أن البكاء في الصلاة لا يقطعها، والخلاف في النفخ والأنين والتنحنح والصحيح أنّ ما كان بحروف تسمع كان كلاماً ويقطع الصلاة وما لم يكن بحـرف فلا فقد كان النبي ﷺ يبكي في صلاته ويسمع له أزيز كأزيز المرجل.

شـــرح الكلمـات :

ادعوا الله أو ادعوا الرحمن : أي سموه بأيهما ونادوه بكل واحد منهما الله أو الرحمن.

أياما تدعوا : أي إن تدعوه بأيهما فهو حسن لأن له الأسماء الحسنى وهذان منها.

ولا تجهر بصلاتك : أي بقـراءتـك في الصـلاة كراهة أن يسمعها المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله.

ولا تخافت بها : أي ولا تسر به إسراراً حتى ينتفع بقراءتك أصحابك الذين يصلون وراءك بصلاتك.

وابتغ بين ذلك سبيلا : أي اطلب بين السر والجهر طريقاً وسطاً.

لم يتخذ ولداً : كما يقول الكافرون.

ولم يكن له شريك : كما يقول المشركون.

ولم يكن له ولي من الذل : أي لم يكن له ولي ينصره من أجل الذل إذ هو العزيز الجبار مالك الملك، ذو الجلال والاكرام.

وكبره تكبيرا : أي عظمه تعظيماً كاملاً عن اتخاذ الولد والشريك والولي من الذل.

معنى الآيات :

كان ﷺ يقول في دعائه يا ألله. يارحمن، يارحمن يارحيم فسمعه المشركون وهم يتصيدون له أية شبهة ليثيروها ضده فلما سمعوه يقول: ياالله ، يارحمن قالوا: أنظروا إليه كيف يدعو إلهين وينهانا عن ذلك فأنزل الله تعالى:[1] ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ أي قل لهم يانبينا أدعوا الله أو أدعوا الرحمن فالله هو الرحمن الرحيم ﴿فأياما تدعوا﴾ منهما الله أو الرحمن فهو الله ذو الأسماء الحسنى والصفـات العلى وقوله تعالى: ﴿ولا تجهر[2] بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾ أي وسطاً بين السر والجهر ، وذلك أن المشركين كانوا إذا سمعوا القرآن سبُّوا قارئه ومن أنزله ، فأمر الله تعالى رسوله والمؤمنون تابعون له إذا قرأوا في صلاتهم أن لا يجهروا حتى لا

---

(١) فنزلت الآية مبيّنة أنهما الله والرحمن اسمان لمسمى واحد فإن دُعي يا الله فهو ذاك وإن دعي يا رحمن فهو ذاك.

(٢) روى مسلم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ الخ قوله نزلت ورسول الله ﷺ متوارٍ بمكة وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به). فقال الله تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ فيسمع المشركون قراءتك ﴿ولا تخافت بها﴾ عن أصحابك أي: أسمعهم القرآن ولا تجهر ذلك الجهر ﴿وابتغ بين ذلك سبيلا﴾ أي: بين الجهر والمخافتة كان هذا في مكة ثمّ استقرّت السنة بالجهر في صلاة الصبح والمغرب والعشاء في الركعتين الأولتين والسر في صلاة الظهر والعصر وثالثة المغرب والأخيرتين من صلاة العشاء.

يسمع المشركون قراءتهم ولا يسروا حتى لا يحرم سماع القرآن من يصلي وراءهم فأمر رسول الله بالتوسط بين الجهر والسر.

وقوله تعالى: ﴿وقل الحمد لله الذي[1] لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً﴾. أي أمر الله تعالى الرسول أن يحمد الله الذي لم يتخذ ولداً كما زعم ذلك بعض العرب، إذ قالوا الملائكة بنات الله! وكما زعم ذلك اليهود إذ قالوا عزير بن الله والنصارى إذ قالوا عيسى بن الله! ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ كما قال المشركون من العرب: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك!

﴿ولم يكن له وليٌ من الذل﴾ كما قال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذل الله!

﴿وكبره﴾ أنت أو عظمه يارسولنا تعظيماً من أن يكون له وصف النقص والافتقار والعجز.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - إن لله الأسماء الحسنى وهي مائة اسم إلا اسماً واحداً[2] فيدعى الله تعالى وينادى بأيّها، وكلها حسنى كما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾

٢ - بيان ما كان عليه المشركون في مكة من بغض للرسول والقرآن والمؤمنين..

٣ - مشروعية الأخذ بالاحتياط للدين كما هو للدنيا.

٤ - وجوب حمد الله تعالى والثناء عليه وتنزيهه عن كل عجز ونقص.

٥ - هذه الآية ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل﴾ تسمى آية العز هكذا سماها رسول الله ﷺ.

---

(١) روي عن عمر أنه قال: الله أكبر خير من الدنيا وما فيها، وورد أنّ هذه الآية ﴿وقل الحمد لله﴾ الخ خاتمة التوراة وفاتحتها أوّل سورة الأنعام.

(٢) الإجماع على أنه لا يصح وضع اسم لله تعالى بالنظر والاجتهاد وإنما أسماؤه وصفاته توقيفية مصدرها الوحي الإلهي: الكتاب والسنة.

سورة الكهف (1)
مكـية
وآياتها عشر ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۜ (1)
قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مَاكِثِينَ
فِيهِ أَبَدًا (3) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4)
مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (5) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ
عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (6)

شــرح الكلمـات :

الحمد لله : الحمد الوصف بالجميل، والله عَلَم على ذات الرب تعالى.

الكتاب : القرآن الكريم.

ولم يجعل له عوجاً : أي ميلاً عن الحق والاعتدال في ألفاظه ومعانيه.

قيما : أي ذا اعتدال لا إفراط فيه ولا تفريط في كل ما حواه ودعا إليه من التوحيد والعبادة والآداب والشرائع والأحكام.

بأساً شديداً : عذاباً ذا شدة وقسوة وسوء عذاب في الآخرة.

---

(1) روى مسلم: ﴿من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال﴾ وروى الدرامي في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: (من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق). . وروي أيضاً (أن من قرأها يوم الجمعة غفر له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام وأعطي نوراً يبلغ السماء ووقي فتنة الدجال).

من لدنه : من عنده سبحانه وتعالى .

أجراً حسنا : أي الجنة إذ هي أجر المؤمنين العاملين بالصالحات .

كبرت كلمة : أي عظمت فريه وهي قولهم الملائكة بنات الله .

إن يقولون إلا كذباً : أي مايقولون إلا كذباً بحتاً لا واقع له من الخارج .

باخع نفسك : قاتل نفسك كالمنتحر.

بهذا الحديث أسفاً : أي بالقرآن من أجل الأسف الذي هو الحزن الشديد .

معنى الآيات :

أخبر تعالى في فاتحة سورة الكهف[1] بأنه المستحق للحمد، وأن الحمد لله وذكر موجب ذلك، وهو إنزاله على عبده ورسوله محمد ﷺ الكتاب الفخم العظيم وهو القرآن العظيم الكريم فقال: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ وقوله تعالى، ﴿ولم يجعل له عوجاً[2]﴾ أي ولم يجعل لذلك الكتاب العظيم عوجاً أي ميلاً عن الحق والاعتدال في ألفاظه ومعانيه فهو كلام مستقيم محقق للآخذ به كل سعادة وكمال في الحياتين. وقوله ﴿قيماً﴾ أي معتدلا خاليا من الإفراط والتفريط قيما على الكتب السابقة مهيمناً عليها الحق فيها ما أحقه والباطل ما أبطله .

وقوله ﴿لينذر بأساً شديداً من لدنه﴾ أي أنزل الكتاب الخالي من العوج القيم من أجل أن ينذر الظالمين من أهل الشرك والمعاصي عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة ينزل بهم من عند ربهم الذين كفروا به وأشركوا وعصوه وكذبوا رسوله وعصوه. ومن أجل أن يبشر بواسطته أيضاً ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي يخبرهم بما يسرهم ويفرح قلوبهم وهو أن لهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وقوله تعالى: ﴿وينذر﴾ بصورة خاصة أولئك المتقولين على الله المفترين عليه بنسبتهم الولد إليه فقالوا: ﴿ اتخذ الله ولداً﴾ وهم اليهود والنصارى وبعض مشركي العرب الذين قالوا ان الملائكة بنات الله! هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً﴾ وهو قول تَوَارَثُوهُ لا علم لأحد منهم به، وإنما هو مجرد كذب يتناقلونه

---

(١) روى ابن اسحق في سبب نزول سورة الكهف حديثاً طويلاً خلاصته أنّ وفداً من قريش أتوا اليهود بالمدينة وقالوا لهم أنتم أهل الكتاب فأخبرونا عن صاحبنا هذا ـ محمد ﷺ ـ فقالت اليهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل فإن لم يفعل فهو رجل متقوّل فروا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأوّل ما كان من أمرهم فإنه كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طوافة قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟؛ وسلوه عن الروح ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه فإنه نبي وإن لم يفعل فهو رجل متقوّل فانظروا في أمره ما بدالكم وأتى الوفد مكة وسألوا رسول الله ﷺ فقال: (أخبركم بما سألتم عنه غداً؛ ولم يستثن أي: لم يقل إن شاء الله فانقطع الوحي نصف شهر ثم نزلت سورة الكهف وفيها جواب ما سألوا.

(٢) العوج: ضد الاستقامة وهو الانحراف في الذوات والمعاني وتكسر عينه وتفتح، وقيل: الكسر في المعاني والفتح في الذّوات.

بينهم لذا قبح الله قولهم هذا وعجّب منه العقلاء، فقال: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾ أي عظم قولهم ﴿اتخذ الله ولداً﴾ كلمة قالوها تخرج من أفواههم لا غير إذ لا واقع لها أبداً، وقرر الانكار عليهم فقال: ﴿إن يقولون إلا كذباً﴾ أي ما يقولون إلا الكذب البحت الذي لا يعتمد على شيء من الصحة البتة. وقوله: ﴿فلعلك باخع[1] نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾ يعاتب الله تعالى رسوله ويخفف عنه ما يجده في نفسه من الحزن على عدم إيمان قومه واشتدادهم في الكفر والتكذيب وما يقترحونه عليه من الآيات أي فلعلك يارسولنا قاتل نفسك على إثر رفض قومك للإيمان بك وبكتابك وماجئت به من الهدى، حزناً عليهم، وجزعاً منهم، فلا تفعل واصبر لحكم ربك فإنه منجز وعده لك بالنصر على قومك المكذبين لك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - وجوب حمد الله تعالى على آلائه وعظيم نعمه.
٢ - لا يحمد إلا من له مايقتضي حمده، وإلا كان المدح كذباً وزوراً.
٣ - عظم شأن القرآن الكريم وسلامته من الافراط والتفريط والانحراف في كل ما جاء به.
٤ - بيان مهمة القرآن وهي البشارة لأهل الإيمان والإنذار لأهل الشرك والكفران.
٥ - التنديد بالكذب على الله ونسبة ما لا يليق بجلاله وكماله إليه كالولد ونحوه.
٦ - تحريم الانتحار وقتل النفس من الحزن أو الخوف ونحوه من الغضب والحرمان.

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى

(١) ﴿باخع﴾ مهلك نفسك، قال ذو الرّمة:
ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه   بشيء نحته عن يديه المقادر
وفسّر ابن عباس رضي الله عنهما الباخع بقاتل نفسه من شدّة الحزن.

﴿ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾

شـرح الكلمـات :

صعيداً جرزاً : أي تراباً لا نبات فيه، فالصعيد هو التراب والجرز[1] الذي لا نبات فيه.

الكهف : النقب الواسع في الجبل والضيق منه يقال له «غار»

والرقيم : لوح حجري رقمت فيه أسماء أصحاب الكهف.

أوى الفتية إلى الكهف : اتخذوه مأوى لهم ومنزلاً نزلوا فيه.

الفتية : جمع فتى وهم شبان مؤمنون.

هيىء لنا من أمرنا رشداً : أي ييسر لنا طريق رشد وهداية.

فضربنا على آذانهم : أي ضربنا على آذانهم حجاباً يمنعهم من سماع الأصوات والحركات.

سنين عددا : أي أعواماً عدة.

ثم بعثناهم : أي من نومهم بمعنى أيقظناهم.

أحصى لما لبثوا : أي أضبط لأوقات بعثهم في الكهف.

أمـــداً : أي مدة محدودة معلومة.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ من حيوان وأشجار ونبات وأنهار وبحار، وقوله ﴿لنبلوهم﴾ أي لنختبرهم ﴿أيهم أحسن عملا﴾ أي أيهم أترك لها وأتبع لأمرنا ونهينا وأعمل فيها بطاعتنا وقوله: ﴿وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً﴾ أي وإنا لمخربوها في يوم، من الأيام بعد عمارتها ونضارتها وزينتها نجعلها ﴿صعيداً[2] جرزاً﴾ أي تراباً لا نبات فيه، إذاً فلا تحزن يارسولنا ولا تغتم مما تلاقيه من قومك فإن مآل الحياة التي من أجلها عادوك وعصونا إلى أن

---

(١) الجرز: القاحل الأجرد الذي لا نبات فيه.

(٢) الصعيد: وجه الأرض والجمع صُعُد، والصعيد: الطريق أيضاً لحديث الصحيح: (إياكم والقعود على الصعدات) أي: الطرق، وجمع الجرز: أجراز يقال سنين أجراز لا مطر فيها ولا عشب ولا نبات.

تصبح صعيداً جرزاً. وقوله تعالى: ﴿أم حسبت[1] أن أصحاب الكهف والرقيم[2] كانوا من آياتنا عجباً﴾ أي أظننت أيها النبي أن أصحاب الكهف أي الغار في الكهف والرقيم وهو اللوح الذي كتبت عليه ورقم أسماء أصحاب الكهف وأنسابهم وقصتهم ﴿كانوا من آياتنا عجباً[3]﴾ أي كان أعجب من آياتنا في خلق ومخلوقات، السموات والأرض بل من مخلوقات الله ما هو أعجب بكثير. وقوله: ﴿إذْ أوى الفتية إلى الكهف﴾ هذا شروع في ذكر قصتهم العجيبة، أي اذكر للسائلين لك عن قصة هؤلاء الفتية، إذ أووا إلى الغار في الكهف فنزلوا فيه، واتخذوه مأوى لهم ومنزلاً هروباً من قومهم الكفار أن يفتنوهم في دينهم وهم سبعة شبان ومعهم كلب لهم فقالوا سائلين ربهم: ﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا﴾ أي أعطنا من عندك رحمة تصحبنا في هجرتنا هذه للشرك والمشركين ﴿وهيء لنا من أمرنا رشداً﴾ أي ويسر لنا من أمرنا في فرارنا من ديار المشركين خوفاً على ديننا ﴿رشداً[4]﴾ أي سداداً وصلاحاً ونجاة من أهل الكفر والباطل، قال ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآيات وقد اختلف أهل العلم في سبب مصير هؤلاء الفتية إلى الكهف الذي ذكره الله في كتابه فقال بعضهم: كان سبب ذلك أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى وكان لهم ملك عابد وثن دعاهم إلى عبادة الأصنام فهربوا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن دينهم أو يقتلهم فاستخفوا منه في الكهف وقوله تعالى: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً﴾ أي فضربنا على آذانهم حجاباً[5] يمنعهم من سماع الأصوات والحركات فناموا في كهفهم سنين معدودة أي ثلاثمائة وتسع سنين، وكانوا يتقلبون بلطف الله وتدبيره لهم من جنب إلى جنب حتى بعثهم من نومهم وهذا استجابة الله تعالى لهم إذ دعوه قائلين: ﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾ وقوله تعالى: ﴿ثم بعثناهم﴾ أي من نومهم ورقادهم ﴿لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا﴾ أي في الكهف ﴿أمداً﴾ أي لنعلم عِلْمَ مشاهدة ولينظر عبادي فيعلموا أي الطائفتين[6] اللتين اختلفتا في قدر لبثهم في الكهف كانت أحصى لمدة لبثهم في الكهف حيث اختلف الناس إلى حزبين حزب يقول لبثوا في كهفهم كذا سنة وآخر يقول لبثوا إلى مدى أي غاية كذا من السنين.

---

(١) (أم) هذه هي المنقطعة التي تقدّر ببل والاستفهام للتعجيب.
(٢) ويجمع الرقيم على رُقُم، والرقيم: فعَيل بمعنى مفعول أي: مرقوم بمعنى مكتوب.
(٣) إنّ إماتة الأحياء أعجب من إماتة أصحاب الكهف.
(٤) الرشد: بفتحتين: الخير، وإصابة الحق والنفع والصلاح أيضاً.
(٥) أي: حائلا كغشاوة ونحوها مما يحول دون السمع، ومعنى ضربنا، جعلنا أو وضعنا كقوله: ﴿ضربت عليهم الذلّة﴾ أي: جعلت وألصقت بهم.
(٦) يبعد أن يكون المراد بالحزبين: هم أصحاب الكهف أنفسهم بل الذين اختلفوا فيهم حزبان من الأمة التي اكتشفتهم بعد مضيّ سنين عديدة.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان العلة في وجود الزينة على هذه الأرض، وهي الابتلاء والاختبار للناس ليظهر الزاهد فيها، العارف بتفاهتها وسرعة زوالها، وليظهر الراغب فيها المتكالب عليها الذي عصى الله من أجلها.

٢ - تقرير فناء كل ما على الأرض حتى تبقى صعيداً جرزاً وقاعاً صفصفاً لا يرى فيها عوج ولا أمت.

٣ - تقرير نبوة الرسول ﷺ بإجابة السائلين عن أصحاب الكهف بالايجاز والتفصيل.

٤ - تقرير التوحيد ضِمْنَ قصة أصحاب الكهف إذ فروا بدينهم خوفاً من الشرك والكفر.

٥ - استجابة الله دعاء عباده المؤمنين الموحدين حيث استجاب للفتية فآواهم الغار ورعاهم حتى بعثهم بعد تغير الأحوال وتبدل العباد والبلاد.

نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴿١٣﴾ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾

شرح الكلمات:

نبأهم بالحق : أي خبرهم العجيب بالصدق واليقين.

وزدناهم هدى : أي إيماناً وبصيرة في دينهم ومعرفة ربهم حتى صبروا على الهجرة.

وربطنا على قلوبهم	: أي شددنا عليها فقويت عزائمهم حتى قالوا كلمة الحق عند سلطان جائر.
لن ندعوا من دونه إلها	: لن نعبد من دونه إلهاً آخر.
لولا يأتون عليهم بسلطان	: أي هلا يأتون بحجة قوية تثبت صحة عبادتهم.
على الله كذباً	: أي باتخاذ آلهة من دونه تعالى يدعوها ويعبدها.
فأووا إلى الكهف	: أي انزلوا في الكهف تستترون به على أعين أعدائكم المشركين.
ينشر لكم ربكم من رحمته	: أي يبسط من رحمته عليكم بنجاتكم مما فررتم منه.
ويهيء لكم من أمركم	: وييسر لكم من أمركم الذي أنتم فيه من الغم والكرب.
مرفقا	: أي ما ترتفقون به وتنتفعون من طعام وشراب وإواء.

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى موجز قصة أصحاب الكهف أخذ في تفصيلها فقال ﴿نحن نقص عليكم نبأهم بالحق[1]﴾ أي نحن رب العزة والجلال نقص عليك أيها الرسول خبر أصحاب الكهف بالحق الثابت الذي لا شك فيه ﴿إنهم فتية[2]﴾، جمع فتى ﴿آمنوا بربهم﴾ أي صدقوا بوجوده ووجوب عبادته وتوحيده فيها وقوله ﴿وزدناهم هدى﴾ أي هداية إلى معرفة الحق من محاب الله تعالى ومكارهه.

وقوله تعالى: ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ أي قوّينا عزائمهم بما شددنا على قلوبهم حتى قاموا وقالوا على رؤوس الملأ وأمام ملك كافر ﴿ربنا رب السموات والأرض﴾ أي ليس لنا رب سواه، لن ندعوا من دونه إلهاً مهما كان شأنه، إذ لو اعترفنا بعبادة غيره لكنا قد قلنا إذاً شططاً من القول وهو الكذب والغلو فيه وقوله تعالى: ﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة﴾ يخبر تعالى عن قيل الفتية لما ربط الله على قلوبهم إذ قاموا في وجه المشركين الظلمة وقالوا: ﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من[3] دون الله آلهة، لولا يأتون عليهم بسلطان بين﴾ أي هلا يأتون عليهم بسلطان بيّن أي بحجة واضحة تثبت عبادة هؤلاء الأصنام من دون الله؟ ومن أين ذلك والحال أنه لا إله إلا الله؟!

وقوله تعالى: ﴿فمن أظلم ممن[4] افترى﴾ ينفي الله عز وجل أن يكون هناك أظلم ممن افترى

---

(١) الحق هنا بمعنى الصدق في الإخبار والباء في قوله ﴿بالحق﴾ للملابسة أي: القصص المصاحب للصدق والنبأ: الخبر ذو الشأن والأهمية.

(٢) الجملة بيانية أي: مبينة للقصص.

(٣) ﴿من﴾ ابتدائية، أي آلهة ناشئة من غير الله تعالى.

(٤) ﴿من﴾ اسم استفهام، ومعناه الإنكار والنفي، الانكار على من اتخذ آلهة دون الله تعالى، والنفي لوجود آلهة حق مع الله تعالى.

على الله كذباً باتخاذ آلهة يعبدها معه باسم التوسل بها وشعار التشفع والتقرب إلى الله زلفى بواسطتها !! وقوله تعالى عن قيل أصحاب الكهف لبعضهم[1]: ﴿وإذ اعتزلتموهم ومايعبدون إلا الله﴾ من الأصنام والأوثان ﴿فأووا إلى الكهف﴾ أي فصيروا إلى غار الكهف المسمى «بنجلوس» ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ أي يبسط لكم من رحمته بتيسيره لكم المخرج من الأمر الذي رميتم به من الكافر «دقينوس» ﴿ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً﴾ أي ما ترتفقون به من طعام وشراب وأمن في مأواكم الجديد الذي أويتم إليه فراراً بدينكم واستخفائكم من طالبكم المتعقب لكم ليفتنكم في دينكم أو يقتلكم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ ـ تقرير النبوة المحمدية بذكر قصة أصحاب الكهف.

٢ ـ تقرير زيادة الإيمان ونقصانه.

٣ ـ فضيلة الجرأة في الحق والتصريح به ولو أدى إلى القتل أو الضرب أوالسجن.

٤ ـ تقرير التوحيد وأنه لا إله إلا الله على لسان أصحاب الكهف.

٥ ـ بطلان عبادة غير الله لعدم وجود دليل عقلي أو نقلي عليها.

٦ ـ الشرك ظلم وكذب والمشرك ظالم مفتر كاذب.

٧ ـ تقرير فرض الهجرة في سبيل الله.

٨ ـ فضيلة الالتجاء إلى الله تعالى وطلب حمايته لعبده وكفاية الله من لجأ إليه في صدق.

۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم

(١) أي: قالوا ما قالوه على سبيل النصح والمشورة الصائبة.

بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾

شـرح الكلمـات :

تزاور : أي تميل .

تقرضهم : تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم .

في فجوة منه : متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها .

من آيات الله : أي دلائل قدرته .

أيقاظاً : جمع يقظ أي منتبهين لأن أعينهم منفتحة .

بالوصيد : فناء الكهف .

رُعباً : منعهم الله بسببه من الدخول عليهم .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في عرض قصة أصحاب الكهف يقول تعالى في خطاب رسوله ﷺ ﴿وتـرى الـشـمس إذا طلعت تزاور[1] عن كهفهم﴾ أي تميل عنـه ذات اليمين ﴿وإذا غربت تقرضهم﴾ أي تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم ذات الشمال. وقوله تعالى : ﴿وهم في فجوة[2] منه﴾ أي متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها، وقوله ﴿ذلك من آيات الله﴾ أي وذلك المذكور من ميلان الشمس عنهم إذا طلعت وقرضها لهم إذا غربت من دلائل قدرة الله تعالى ورحمته بأوليائه ولطفه بهم[3]، وقوله تعالى : ﴿ومن يهد الله فهو المُهْتَدِ ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾ يخبر تعالى أن الهداية بيده وكذلك الإضلال فليطلب العبد من ربه الهداية إلى صراطه المستقيم، وليستعذ به من الضلال المبين، إذ من يضله الله لن يوجد له ولي يرشده بحال من الأحوال، وقوله تعالى : ﴿وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود[4]﴾ أي انك إذا نظرت إليهم تظنهم أيقاظاً

---

(١) ﴿تزاور﴾ : تتنحى أو تميل من الازورار والـزور: الميل، والأزور من الناس: المائل النظر إلى ناحية وازورّ: مال ومنه قول عنترة:

فازورّ من وقع القنـا بلبانه   وشكا إليّ بعبرة وتحمحم

اللّبان: الصدر، والتحمحم: صوت دون الصهيل.

(٢) الفجوة: والجمع فجوات وفجاء وهو المتسع

(٣) والمقصود بيان حفظهم من تطرق البلاء، وتغير الأبدان والألوان والتأذي بحرّ أو برد.

(٤) ﴿رقود﴾ جمع راقد كراكع وركوع، وساجد وسجود، والتقليب: تغيير وضع الشيء من ظاهره إلى باطنه وفعل الله تعالى هذا لحكمة وهي: حتى لا تؤثر الأرض على أجسامهم فتبلى، ولم يعرف كم مرّة يقلبون فيها في الشهر أو العام أو في أقل أو أكثر.

أي منتبهين لأن أعينهم متفتحة وهم رقود نائمون لايحسّون بأحد ولا يشعرون، وقوله تعالى: ﴿ونقلبهم ذات اليمين﴾ أي جهة اليمين ﴿وذات الشمال﴾ أي جهة الشمال حتى لا تَعْدو التربة على أجسادهم فتبليها. وقوله: ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ أي: وكلبهم الذي خرج معهم، وهو كلب صيد ﴿باسط ذراعيه بالوصيد﴾[1] أي: بفناء الكهف. وقوله تعالى: ﴿لو اطلعت عليهم﴾ أي لو شاهدتهم وهم رقود وأعينهم مفتحة ﴿لوليت منهم فراراً﴾ لرجعت فاراً منهم ﴿ولملئت منهم رعباً﴾ أي خوفاً وفزعاً، ذلك أن الله تعالى ألقى عليهم من الهيبة والوقار حتى لا يدنو منهم أحد ويمسهم بسوء إلى أن يوقظهم عند نهاية الأجل الذي ضرب لهم، ليكون أمرهم آية من آيات الله الدالة على قدرته وعظيم سلطانه وعجيب تدبيره في خلقه.

من هداية الآيات:

١ ـ بيان لطف الله تعالى بأوليائه بإكرامهم في هجرتهم إليه.

٢ ـ تقرير أن الهداية بيد الله فالمهتدي من هداه الله والضال من أضله الله ولازم ذلك طلب الهداية من الله، والتعوذ به من الضلال لأنه مالك ذلك.

٣ ـ بيان عجيب تدبير الله تعالى وتصرفه في مخلوقاته فسبحانه من إله عظيم عليم حكيم.

وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ

(١) فناء عند مدخل الكهف فشبّه بالباب الذي هو الوصيد لأنه يوصد ويغلق.

ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾

شـرح الكلمـات :

كذلك بعثناهم	: أي كما أنمناهم تلك النومة الطويلة الخارقة للعادة بعثناهم[1] من رقادهم بعثاً خارقاً للعادة أيضاً فكان في منامهم آية وفي إفاقتهم آية .
كم لبثتم	: أي في الكهف نائمين .
يوماً أو بعض يوم	: لأنهم دخلوا الكهف صباحاً واستيقظوا عشية .
بورقكم	: بدراهم الفضة التي عندكم .
إلى المدينة	: أي المدينة التي كانت تسمى أفسوس وهي طرسوس اليوم .
أزكى طعاماً	: أي أيُّ أطعمة المدينة أحلُّ أي أكثر حِلِّيَّةً .
وليتلطف	: أي يذهب يشتري الطعام ويعود في لطف وخفاء .
يرجموكم	: أي يقتلوكم رمياً بالحجارة .
أعثرنا عليهم	: أطلعنا عليهم أهل بلدهم .
ليعلموا	: أي قومهم أن البعث حق للأجساد والأرواح معا .
إذ يتنازعون	: أي الكفار قالوا ابنوا عليهم أي حولهم بناء يسترهم .
فقالوا	: أي المؤمنون والكافرون في شأن البناء عليهم .
وقال الذين غلبوا على أمرهم	: وهم المؤمنون لنتخذن حولهم مسجداً يصلى فيه .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في الحديث عن أصحاب الكهف فقوله تعالى : ﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم﴾ أي كما أنمناهم ثلاثمائة سنة وتسعا وحفظنا أجسادهم وثيابهم من البلى

(١) البعث: التحريك من سكون أي: كما ضربنا على آذانهم وزدناهم هدىً وقلبناهم بعثناهم أيضاً أي: ايقظناهم من رقادهم على ما كانوا عليه من ثيابهم وأحوالهم.

ومنعناهم من وصول أحد إليهم، وهذا من مظاهر قدرتنا وعظيم سلطاننا بعثناهم من نومهم الطويل ليتساءلوا بينهم فقال قائل منهم مستفهماً كم لبثتم يا إخواننا فأجاب بعضهم قائلاً ﴿لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ لأنهم آووا إلى الكهف في الصباح وبعثوا من رقادهم في المساء وأجاب بعض آخر بقول مُرْضٍ للجميع وهو قوله: ﴿ربكم أعلم بما لبثتم﴾ فسلموا الأمر إليه، وكانوا جياعاً فقالوا لبعضهم ﴿فابعثوا أحدكم بورِقكم[1] هذه﴾ يشيرون إلى عملة من فضة كانت معهم ﴿إلى المدينة﴾ وهي أفسوس التي خرجوا منها هاربين بدينهم. وقوله: ﴿فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه﴾ أي فلينظر الذي تبعثونه لشراء الطعام أي أنواع الأطعمة أزكى أي أطهر من الحرام والاستقذار ﴿فليأتكم[2] برزق منه﴾ لتأكلوه سداً لجوعكم وليتلطف[3] في شرائه وذهابه وإيابه حتى لا يُشعر بكم أحداً وعلل لقوله هذا بقوله ﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾ أي يطلعوا ﴿يرجموكم﴾ أو يقتلوكم رجماً بالحجارة[4] ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ ملة الشرك بالقسر والقوة. ﴿ولن تفلحوا إذاً أبداً﴾ أي ولن تفلحوا بالنجاة من النار ودخول الجنة إذا أنتم عدتم للكفر والشرك.. فكفرتم وأشركتم بربكم.

وقوله تعالى: ﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾ أي وكما أنمناهم تلك المدة الطويلة وبعثناهم ليتساءلوا بينهم فيزدادوا إيماناً ومعرفة بولاية الله تعالى وحمايته لأوليائه ﴿أعثرنا عليهم[5]﴾ أهل مدينتهم الذين انقسموا إلى فريقين فريق يعتقد أن البعث حق وأنه بالأجسام والأرواح، وفريق يقول البعث الآخر للأرواح دون الأجسام كما هي عقيدة النصارى إلى اليوم، فأنام الله الفتية وبعثهم وأعثر عليهم هؤلاء القوم المختلفين فاتضح لهم أن الله قادر على بعث الناس أحياء أجساماً وأرواحاً كما بعث أصحاب الكهف وهو معنى قوله تعالى ﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا﴾ أي أولئك المختلفون في شأن البعث أن وعد الله حق وهو ما وعد به الناس من أنه سيبعثهم بعد موتهم يوم القيامة ليحاسبهم ويجزيهم بعملهم. ﴿وأن الساعة لا ريب فيها﴾ وقوله تعالى: ﴿إذ

---

(١) قال ابن عباس كان معهم دراهم فضة عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم والورق: الفضة، وقرىء بكسر الراء وقرىء بسكونها.

(٢) في هذه الآية دليل على جواز الوكالة في كل مباح مأذون فيه وسواء كان الموكل عاجزاً أو قادراً ورأى بعضهم أنّ القادر لا يوكل، والصحيح جوازه، وقد وكّل النبي ﷺ وهو صحيح حاضر، ووكّل عليّ رضي الله عنه ووكل كثير من الصحابة من ينوب عنهم في أمورهم.

(٣) الجمهور على أن نصف حروف القرآن التاء من قوله: ﴿وليتلّطف﴾ أي: نصف القرآن من الفاتحة إلى ﴿وليتلطّف﴾ والنصف الآخر والأخير منها إلى الناس.

(٤) القتل بالرجم بالحجارة أشفى لصدور أهل الدين لأنهم يشاركون في القتل بالرجم.

(٥) اطلعنا عليهم. يقال عثر على كذا: وقف عليه برجله ومنه العثار للرجل وأعثر عليه: جعل غيره يعثر عليه بمعنى يقف عليه مطلعاً عليه ظاهراً.

يتنازعون بينهم أمرهم﴾ أي أعثرناهم عليهم في وقت كان أهل البلد يتنازعون في شأن البعث والحياة الآخرة هل هي بالأجسام والأرواح أو بالأرواح دون الأجسام. فتبين لهم بهذه الحادثة أن البعث حق وأنه بالأجسام والأرواح معاً. وقوله تعالى: ﴿فقالوا ابنوا عليهم بنياناً﴾ واتركوهم في الكهف أي سدوا عليهم باب الكهف واتركوهم فيه لأنهم بعد أن عثروا عليهم ماتوا ﴿ربهم أعلم بهم﴾ وبحالهم.

وقوله تعالى: ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً﴾ أي قال الذين غلبوا على أمر الفتية لكون الملك كان مسلماً معهم ﴿لنتخذن عليهم مسجداً﴾[1] أي للصلاة فيه وفعلاً بنوه على مقربة من فم الغار بالكهف.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته.

٢ ـ وجوب طلب الحلال في الطعام والشراب وغيرهما.

٣ ـ الموت على الشرك والكفر مانع من الفلاح يوم القيامة أبداً.

٤ ـ تقرير معتقد البعث والجزاء الذي ينكره أهل مكة.

٥ ـ مصداق قول الرسول ﷺ «لعن الله اليهود والنصارى إتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وقوله «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق يوم القيامة» (في الصحيحين).

٦ ـ مصداق قول الرسول ﷺ «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع». إذ قد بنى[2] المسلمون على قبور الأولياء والصالحين المساجد. بعد القرون المفضلة حتى أصبح يندر وجود مسجد عتيق خال من قبر أو قبور.[3]

(١) اتخاذ المساجد على القبور من عمل أهل الكتاب قبل هذه الأمّة، وقد بيّن ذلك رسول الله ﷺ وحذّر منه وحرّمه على أمته لما يفضي به إلى الشرك وعبادة غير الله تعالى فقد روى أبو داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: (لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنّ أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ فقال ﷺ إنّ أولائك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوّروا تلك الصور أولائك شرار الخلق عند الله يوم القيامة). وروى مسلم: (لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها) وفي الصحيحين: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا).

(٢) روى الترمذي وصححه عن جابر رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله ﷺ أن تجصص القبور وأن يكتب عليها أو يبنى عليها وأن توطأ) وروى أبو دواود والترمذي وغيرهما أنّ عليا قال لأحد رجاله أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألاّ تدع تمثالا إلاّ طمسته ولا قبراً مشرفاً إلاّ سويته ولا صورة إلاّ طمستها) والمراد بالمشرف: العالي المرتفع أما تسنيم القبر شبرا وأكثر ليعرف فلا بأس به.

(٣) ذكر القرطبي هنا أنّ الدفن في التابوت جائز لا سيما في الأرض الرخوة وقال: روي أنّ دانيال عليه السلام كان في تابوت من حجر وأنّ يوسف عليه السلام أوصى بأن يتخذ له تابوت من زجاج.

سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

رجماً بالغيب	: أي قذفاً بالظن غير يقين علم.
ما يعلمهم إلا قليل	: أي من الناس.
فلا تمار فيهم	: لا تجادل في عدتهم.
ولا تستفت فيهم منهم أحداً	: أي من أهل الكتاب، الاستفتاء: الاستفهام والسؤال.
إلا أن يشاء الله	: أي إلا أن تقول إن شاء الله.
لأقرب من هذا رشداً	: هداية وأظهر دلالة على نبوتي من قصة أصحاب الكهف.
له غيب السموات والأرض	: أي علم غيب السموات والأرض وهو ما غاب فيهما
أبصر به وأسمع	أي أبصر بالله واسمع به صيغة تعجب! والأصل ما أبصره وما أسمعه
ما لهم من دونه من ولي	: أي ليس لأهل السموات والأرض من دون الله أي من ناصر.

ولا يشرك في حكمه أحداً : لأنه غني عما سواه ولا شريك له.

معنى الآيات:

مازال السياق في الحديث عن أصحاب الكهف يخبر تعالى بأن الخائضين في شأن أصحاب الكهف سيقول بعضهم بأنهم ثلاثة رابعهم كلبهم ويقول بعض آخر هم خمسة سادسهم كلبهم ﴿رجماً بالغيب﴾[1] أي قذفاً بالغيب من غير علم يقيني، ويقول بعضهم هم سبعة وثامنهم كلبهم، ثم أمر الله تعالى رسوله أن يقول لأصحابه تلك الأقوال: ﴿ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾ أي ما يعلم عددهم إلا قليل من الناس قال ابن عباس أنا من ذلك القليل فعدتهم سبعة وثامنهم كلبهم ولعله فهم ذلك من سياق الآية إذ ذكر تعالى أن الفريقين الأول والثاني قالوا ما قالوه من باب الرجم بالغيب لا من باب العلم والمعرفة، وسكت عن الفريق الثالث، فدل ذلك على أنهم سبعة وثامنهم كلبهم والله أعلم. وقوله تعالى: ﴿فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهراً﴾[2] أي ولا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف إلا جدالاً بيناً ليناً بذكرك ما قصصنا عليك دون تكذيب لهم، ولا موافقة لهم. وقوله تعالى ﴿ولا تستفت فيهم[3]﴾ أي في أصحاب الكهف ﴿منهم﴾ أي من أهل الكتاب ﴿أحداً﴾ وذلك لأنهم لا يعلمون عدتهم وإنما يقولون بالخرص والتخمين لا بالعلم واليقين. وقوله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء[4] إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ أي لا تقل يامحمد في شأن تريد فعله مستقبلاً أي سأفعل كذا إلا أن تقول إن شاء الله،[5] وذلك أنه ﷺ لما سأله وفد قريش بإيعاز من اليهود عن المسائل الثلاث: الروح، وأصحاب الكهف وذي القرنين، قال لسائليه: أجيبكم غداً انتظاراً للوحي ولم يقل إن شاء الله، فأدبه ربه تعالى بانقطاع الوحي عنه نصف شهر، وأنزل هذه السورة وفيها هذا التأديب له ﷺ وقوله: ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ أي إذا نسيت الاستثناء الذي علمناك فاذكره ولو بعد حين لتخرج من الحرج.

أما الكفارة فلازمة إلا أن يكون الاستثناء متصلاً بالكلام وقوله تعالى: ﴿وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً﴾ أي وقل بعد النسيان والاستثناء المطلوب منك ﴿عسى أن يهديني

---

(١) أصل الرجم هو الرجم بالحجارة ونحوها والمراد به هنا، رمي الكلام من غير روّية ولا تثبّت، والمراد أنّ ما قالوه في بيان عددهم هو من باب القول بالظن بدون علم.

(٢) المراد: بالظاهر هو الذي لا سبيل إلى انكاره ولا يطول الخوض فيه.

(٣) الاستفتاء: طلب الفتيا وهي الخبر عن أمر لا يعلمه إلّا ذوو العلم روي أنّ النبي ﷺ سأل بعض نصارى نجران فنهي عن ذلك.

(٤) لشيء أي: في شيء أو لأجل شيء.

(٥) أي: إلّا أن تذكر مشيئة الله تعالى.

ربي لأقرب من هذا رشداً﴾ أي لعل الله تعالى أن يهديني فيسددني لأَسَدَّ ما وعدتكم أن أخبركم به مما هو أظهر دلالة على نبوتي مما سألتموني عنه اختباراً لي. وقوله تعالى: ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة[1] سنين وازدادوا تسعا﴾ يخبر تعالى أن الفتية لبثوا في كهفهم رقوداً من ساعة دخلوه إلى أن أعثر الله عليهم قومهم ثلاثمائة سنين بالحساب الشمسي وزيادة تسع سنين بالحساب القمري.

وقوله: ﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ رد به على من قال من أهل الكتاب إن الثلاثمائة والتسع سنين هي من ساعة دخولهم الكهف إلى عهد النبي ﷺ فأبطل الله هذا بتقرير الثلثمائة والتسع أولاً وبقوله ﴿الله أعلم بما لبثوا﴾ ثانيا وبقوله: ﴿له غيب السموات والأرض﴾ أي ما غاب فيهما، ثالثاً، وبقوله: ﴿أبصر به وأسمع﴾ أي ما أبصره بخلقه وما أسمعه لأقوالهم حيث لا يخفى عليه شيء من أمورهم وأحوالهم خامساً، وقوله ﴿ليس لهم﴾ أي لأهل السموات والأرض من دونه تعالى ﴿من ولي﴾ أيْ ولا ناصر ﴿ولايشرك في حكمه أحداً﴾ لغناه عما سواه ولعدم وجود شريك له بحال من الأحوال.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ ـ بيان اختلاف أهل الكتاب وعدم ضبطهم للأحداث التاريخية.

٢ ـ بيان عدد فتية أصحاب الكهف وأنهم سبعة وثامنهم كلبهم.

٣ ـ من الأدب مع الله تعالى أن لا يقول العبد سأفعل كذا مستقبلاً إلا قال بعدها إن شاء الله.

٤ ـ من الأدب من نسي الاستثناء أن يستثني ولو بعد حين فإن حلف لا ينفعه الاستثناء إلا إذا كان متصلاً بكلامه.

٥ ـ تقرير المدة التي لبثها الفتية في كهفهم وهي ثلاث مائة وتسع سنين بالحساب القمري.

وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ

---

(١) قرأ الجمهور ﴿ثلثمائةٍ﴾ بالتنوين و﴿سنين﴾ منصوب على التمييز أو على البدلية، فهو مجرور، وقرأ خلافهم بإضافة ثلثمائة إلى سنين.

يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

شــرح الكلمــات:

واتل ما أوحي إليك من الكتاب : أي اقرأ القرآن تعبداً ودعوة وتعليماً.

لا مبدل لكلماته : أي لا مغير لكلمات الله في ألفاظها ولا معانيها وأحكامها.

ملتحداً : أي ملجأ تميل إليه إحتماءاً به.

واصبر نفسك : أي إحبسها.

يريدون وجهه : أي طاعته ورضاه، لاعرضاً من عرض الدنيا.

ولا تعد عيناك عنهم : أي لا تتجاوزهم بنظرك إلى غيرهم من أبناء الدنيا.

تريد زينة الحياة الدنيا : أي بمجالستك الأغنياء تريد الشرف والفخر.

من أغفلنا قلبه : أي جعلناه غافلاً عما يجب عليه من ذكرنا وعبادتنا.

وكان أمره فرطاً : أي ضياعاً وهلاكاً.

أحاط بهم سرادقها : حائط من نار أحيط بهؤلاء المعذبين في النار.

بماء كالمهل : أي كعكر الزيت أي الدردي وهو مايبقى في أسفل الإناء ثخناً رديئاً.

من سندس واستبرق : أي مَارَقَّ من الديباج، والاستبرق ما غلظ منه أي من الديباج.

معنى الآيات:

بعد نهاية الحديث عن أصحاب الكهف أمر تعالى رسوله بتلاوة كتابه فقال: ﴿واتل﴾[1] أي واقرأ ﴿ما أوحي إليك من كتاب ربك﴾ تعبداً به ودعوة للناس إلى ربهم به وتعليماً للمؤمنين بما جاء فيه من الهدى.

وقوله: ﴿لا مبدل لكلماته﴾ أي لا تتركن تلاوته والعمل به والدعوة إليه فتكون من الهالكين فإن ما وعد ربك به المعرضين عنه المكذبين به كائن حقاً وواقع صدقاً فإن ربك ﴿لا مبدل لكلماته﴾ المشتملة على وعده لأوليائه ووعيده لأعدائه ممن كفروا به وكذبوا بكتابه فلم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه.

وقوله تعالى: ﴿ ولن تجد من دون ملتحداً﴾ أي انك إن لم تتل كتابه الذي أوحاه إليك وتعمل بما فيه فَنَالَكَ ما أوعد به الكافرين المعرضين عن ذكره. ﴿لن تجد من دون الله ملتحداً﴾ أي موئلاً تميل إليه وملجأ تحتمي به وإذا كان مثل هذا الوعيد الشديد يوجه إلى رسول الله ﷺ وهو المعصوم فغيره ممن تركوا تلاوة القرآن والعمل به فلا أقاموا حدوده ولا أحلوا حلاله ولا حرموا حرامه أولى بهذا الوعيد وهو حائق بهم لا محالة إن لم يتوبوا قبل موتهم وقوله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ نزل هذا التوجيه للرسول ﷺ عندما عرض عليه المشركون إبعاد أصحابه الفقراء كبلال وصهيب وغيرهما ليجلسوا إليه ويسمعوا منه فنهاه ربه عن ذلك وأمره أن يحبس نفسه مع أولئك الفقراء المؤمنين ﴿الذين يدعون﴾ ربهم في صلاتهم في الصباح والمساء لا يريدون بصلاتهم وتسبيحهم ودعائهم عرضاً من أعراض الدنيا وإنما يريدون رضا الله ومحبته بطاعته في ليلهم ونهارهم.

وقوله تعالى: ﴿ولا تعد عيناك[2] عنهم﴾ أي لا تتجاوز ببصرك هؤلاء المؤمنين الفقراء إلى أولئك الأغنياء تريد مجالستهم للشرف والفخر وقوله ﴿ولا تطع من[3] أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ فجعلناه غافلاً

---

(١) تضمنت هذه الآية: ﴿واتل﴾ الخ الرد على المشركين إذ المعنى: لا تعبأ بهم إن كرهوا تلاوة بعض القرآن لأن فيها التعريض بآلهتهم والتنديد بها حتى طالبوك بأن تجعل بعض القرآن للثناء عليها أو عليهم.

(٢) لا تصرف بصرك عنهم إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة.

(٣) روي أنها نزلت في أمية بن خلف الجمحي لأنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه وهو إبعاد الفقراء وتقريب صناديد قريش.

عن ذكرنا وذكر وعدنا ووعيدنا ليكون من الهالكين لعناده وكبريائه وظلمه. ﴿وكان أمره فرطاً﴾[1] أي ضياعاً وهلاكاً، وقوله تعالى في الآية الثالثة من هذا السياق ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[2] أي هذا الذي جئت به وأدعو إليه من الايمان والتوحيد والطاعة لله بالعمل الصالح هو ﴿الحق من ربكم﴾ أيها الناس. ﴿فمن شاء﴾ الله هدايته فآمن وعمل صالحاً فقد نجاه ومن لم يشأ الله هدايته فَبَقِي على كفره فلم يؤمن فقد خاب وخسر.

وقوله: ﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها﴾ أي جدرانها النارية. ﴿وإن يستغيثوا﴾ من شدة العطش ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ رديئاً ثخناً ﴿يشوي الوجوه﴾ إذا أدناه الشارب من وجهه ليشرب شوى جلده ووجهه ولذاقيل فيه ذم له. ﴿بئس الشراب وساءت﴾ أي جهنم ﴿مرتفقاً﴾ في منزلها وطعامها وشرابها إذ كله سوء وعذاب هذا وعيد من اختار الكفر على الإيمان وأما وعد من آمن وعمل صالحاً وقد تضمنته الآيتان (٣١-٣٢) إذ قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ هذا حكمنا الذي لا تبديل له وبين تعالى أجرهم على إيمانهم وإحسان أعمالهم فقال: ﴿أولئك لهم جنات عدن﴾ أي إقامة دائمة ﴿تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق، متكئين فيها على الآرائك﴾ وهي الأسرة بالحجلة[3]. ثم أثنى الله تعالى على نعيمهم الذي أعده لهم بقوله: ﴿نعم الثواب﴾ الذي أثيبوا به ﴿وحسنت﴾ الجنة في حليها وثيابها وفرشها وأسرتها وطعامها وشرابها وحورها ورضوان الله فيها ﴿حسنت مرتفقاً﴾[4] يرتفقون فيه وبه، جعلنا الله من أهلها

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان خيبة وخسران المعرضين عن كتاب الله فلم يتلوه ولم يعملوا بما جاء فيه من شرائع وأحكام.

---

(١) الفرط: الظلم والاعتداء وهو مشتق من الفروط وهو السبق لأنّ الظلم سبق في الشر والظلم يؤدي إلى الهلاك والضياع والخسران.

(٢) الأمر في قوله ﴿فليؤمن﴾ و﴿فليكفر﴾ للتسوية بينهما وليس في هذا إذن لهم بالكفر وإنما الخطاب للتهديد والوعيد لمن اختار الكفر على الإيمان بدليل الجملة التعليلية: ﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً﴾ الخ، والمراد بالظالمين المشركون لقوله تعالى: ﴿إنّ الشرك لظلم عظيم﴾.

(٣) ﴿الأرائك﴾: جمع أريكة وهي مجموع سرير وحجلة، والحجلة: قبة من ثياب تكون في البيت تجلس فيها المرأة أو تنام فيها ولذلك يقال للنساء ربات الحجال فإذا وضع فيها سرير فهي أريكة يجلس فيها وينام.

(٤) (المرتفق): محل الارتفاق، وإطلاق المرتفق على النار تهكّم، إذ النار لن تكون محل راحة وارتفاق أبداً بل هي دار شقاء وعذاب.

٢ ـ الترغيب في مجالسة أبناء الآخرة وهم الفقراء الصابرون وترك أبناء الدنيا والإعراض عما هم فيه.

٣ ـ على الداعي إلى الله تعالى أن يبين الحق، والناس بعد بحسب ما كتب لهم أو عليهم.

٤ ـ الترغيب والترهيب بذكر جزاء الفريقين المؤمنين والكافرين.

٥ ـ عذاب النار شر عذاب، ونعيم الجنة، نعم النعيم ولا يهلك على الله إلا هالك.

۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾

شرح الكلمات:

واضرب لهم مثلاً : أي اجعل لهم مثلاً هو رجلين... الخ

جنتين : أي بستانين.

وحففناهما بنخل : أي أحطناهما بنخل.

آتت أكلها : أي أعطت ثمارها وهو ما يؤكل.

ولم تظلم منهم شيئاً : أي وَلَمْ تنقص منه شيئاً بل أتت به كاملاً وافياً.

خلالهما نهراً : أي خلال الأشجار والنخيل نهراً جارياً.

وهو يحاوره : أي يحادثه ويتكلم معه.

وأعز نفراً : أي عشيرة ورهطاً.

تبيد : أي تفنى وتذهب.

خيراً منها منقلباً : أي مرجعاً في الآخرة.

أكفرت بالذي خلقك من تراب؟! : الاستفهام للتوبيخ والخلق من تراب باعتبار الأصل هو آدم.

من نطفة : أي مني.

ثم سواك : أي عدلك وصيرك رجلاً.

لكنا : أي لكن أنـا، حذفت الألف وأدغمت النون في النون فصارت لكنا.

هو الله ربي : أي أنا أقول الله ربي.

معنى الآيات:

يقول تعالى لرسوله ﷺ: واضرب لأولئك المشركين المتكبرين الذين اقترحوا عليك أن تطرد الفقراء المؤمنين من حولك حتى يجلسوا إليك ويسمعوا منك ﴿اضرب[1] لهم﴾ أي اجعل لهم مثلاً: ﴿رجلين﴾ مؤمناً وكافراً ﴿جعلنا لأحدهما﴾ وهو الكافر ﴿جنتين من أعناب وحففناهما بنخل﴾ أي أحطناهما بنخل، ﴿وجعلنا بينهما﴾ أي بين الكروم والنخيل ﴿زرعاً﴾ ﴿كلتا الجنتين[2] آتت أكلهـا ولم تظلم منـه شيئاً﴾ أي لم تنقص منه شيئاً ﴿وفجرنا خلالهما نهراً﴾ ليسقيهما. ﴿وكان له ثمر[3] فقال لصاحبه وهو يحاوره﴾ أي في الكلام يراجعه، ويُفاخره: ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً[4]﴾ أي عشيرة ورهطاً، قال هذا فخراً وتعاظماً. ﴿ودخل جنته﴾ والحال أنه ﴿ظالم لنفسه﴾ بالكفر والكبر وقال: ﴿ما أظن[5] أن تبيد هذه﴾ يشير إلى جنته ﴿أبداً﴾ أي لا تفنى. ﴿وما أظن الساعة

(١) اختلف في تحديد الفريقين الذين ضرب لهما المثل، وفي الرجلين اللّذين ضرب بهما المثل، والظاهر أنّ الفريقين اللّذين ضرب لهما المثل هم المؤمنون والكافرون المستنكفون عن مجالسة المؤمنين، وأما الرجلان فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهما من بني اسرائيل وهو الظاهر والله أعلم.

(٣) قال سيبويه: أصل كلا كِلْوَ وأصل كلتا كلوا فحذفت لام الفعل من كلتا وعوضت التاء عن اللام المحذوفة لتدل التاء على التأنيث.

(٣) ﴿وكان له ثمر..﴾ الجملة في محل نصب على الحال، والثمر بضم الثاء والميم المال الكثير المختلف من النقدين والأنعام والجنات والمزارع مأخوذ من: ثمر ماله: إذا كثر، وقرأ الجمهور بضم الثاء والميم وقرأ حفص بفتحهما.

(٤) أعزّ أي أشد عزّة، والنفر: عشيرة الرجل الذين ينفرون معه للدفاع أو القتال والمراد بالنفر هنا أولاده.

(٥) الظنّ هنا بمعنى الاعتقاد ومعنى تبيد: تفنى وتهلك.

قائمة ولئن رددت إلى ربي﴾ كما تقول أنت ﴿لأجدن خيراً منها﴾[1] أي من جنتي ﴿منقلباً﴾ أي مرجعاً إن قامت الساعة وبعث الناس وبعثت معهم. هذا القول من هذا الرجل هو ما يسمى بالغرور النفسي الذي يصاب به أهل الشرك والكبر. وهنا قال له صاحبه المسلم ﴿وهو يحاوره﴾ أكفرت بالذي خلقك من تراب﴾؟ وهو الله عز وجل حيث خلق أباك آدم من ﴿تراب ثم من نطفة﴾[2] أي ثم خلقك أنت من نطفة أي من مني ﴿ثم سواك رجلاً﴾ وهذا توبيخ من المؤمن للكافر المغرور ثم قال له: ﴿لكنا هو الله ربي﴾ أي لكن أنا أقول هو الله ربي، ﴿ولا أشرك بربي أحداً﴾ من خلقه في عبادته.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - استحسان ضرب الأمثال للوصول بالمعاني الخفية إلى الأذهان.

٢ - بيان صورة مثالية لغرس بساتين النخل والكروم.

٣ - تقرير عقيدة التوحيد والبعث والجزاء.

٤ - التنديد بالكبر والغرور حيث يفضيان بصاحبهما إلى الشرك والكفر.

وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ

---

(١) قرأ الجمهور (منهما) بالتثنية وقرأ عاصم (منها) بالإفراد.

(٢) النطفة: ماء الرجال مشتقة من النطف الذي هو السيلان.

فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

شـرح الكلمـات:

ما شاء الله : أي يكون وما لم يشأ لم يكن.

حسباناً من السماء : أي عذاباً ترمى به فتؤول إلى أرض ملساء دحضاً لايثبت عليها قدم.

أو يصبح ماؤها غوراً : أي غائراً في أعماق الأرض فلا يَقْدِرُ عَلَى استنباطِه وإخراجه.

وأحيط بثمره : أي هلكت ثماره، فلم يبق منها شيء.

يقلب كفيه : ندماً وحسرة على ما أنفق فيها من جهد كبير ومال طائل.

وهي خاوية على عروشها :أي ساقطة على أعمدتها التي كَان يُعرش بها للكرم، وعلى جدران مبانيها.

فئة : جماعة من الناس قوية كعشيرته من قومه.

هنالك : أي حين حل العذاب بصاحب الجنتين أي يوم القيامة.

الولاية : أي الملك والسلطان الحق لله تعالى.

خير ثواباً وخير عقباً : أي الله تعالى خير من يثيب وخير من يُعقب أي يجزي بخير.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكـريم في المثلِ المضروب للمؤمن الفقير والكافر الغني فقد قال المؤمن للكافر ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك﴾ أي هلا إذْ دخلت بستانك قلت عند تعجبك من حسنه وكماله ﴿ماشاء الله أي[1] كان ﴿لا قوة إلاّ بالله﴾[2] أي لا قوة لأحد على فعل شيء

---

(١) هذا وجه في إعراب (ما شاء الله) ما: مبتدأ والخبر كان، وهناك وجه آخر حسّنه بعضهم وهو: هذه الجنة ما شاء الله. فما خبر عن مبتدإ محذوف ويجوز تقديره أيضاً: الأمر الذي شاء الله إعطاءه.

(٢) قال مالك: ينبغي لكل من دخل داره أو بستانه أن يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وروي أنه كان مكتوباً على باب وهب بن منبّه ما شاء الله لا قوّة إلا بالله، وروى مسلم أنّ: لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة وورد استحباب قول بسم الله آمنت بالله توكلت على الله لا قوة إلاّ بالله.

أو تركه إلا بإقدار الله تعالى له وإعانته عليه قلل هذا المؤمن نصحاً للكافر وتوبيخاً له. ثم قال له ﴿إن ترن أنا[1] أقل منك مالاً وولداً﴾ اليوم ﴿ فعسى[2] ربي﴾ أي فرجائي في الله ﴿أن يؤتيني خيراً من جنتك ويرسل عليها﴾ أي على جنة الكافر ﴿ حسبانا[3] من السماء﴾ أي عذاباً ترمى به. ﴿فتصبح صعيداً زلقاً﴾: أي تراباً أملس لا ينبت زرعاً ولا يثبت عليه قدم. ﴿أو يصبح ماؤها غوراً﴾ الذي تسقى به غائراً في أعماق الأرض فلن تقدر على إستخراجه مرة أخرى، وهو معنى ﴿فلن تستطيع له طلباً﴾.

وقوله تعالى :في الآيات(٤٠)، (٤١) ، (٤٢) يخبر تعالى أن رجاء المؤمن قد تحقق إذ قد أحيط فعلاً ببستان الكافر فهلك بكل مافيه من ثمر ﴿فأصبح يقلب كفيه﴾ ندماً وتحسراً ﴿على ما أنفق فيها﴾ من جهد ومال في جنته ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ أي ساقطة على أعمدة الكرم التي كان يعرشها للكرم أي يحمله عليها كما سقطت جدران مبانيها على سقوفها وهو يتحسر ويتندم ويقول: ﴿ياليتني لم أشرك بربي أحداً، ولم تكن له﴾ جماعة قوية تنصره ﴿من دون الله وما كان﴾ المنهزم ﴿منتصراً﴾ لأن من خذله الله لا ناصر له. قال تعالى: في نهاية المثل الذي هو أشبه بقصة ﴿هنالك﴾ أي يوم القيامة ﴿الولاية﴾ أي القوة والملك والسلطان ﴿لله﴾ أي المعبود ﴿الحق﴾ لا لغيره من الأصنام والأحجار ﴿هو﴾ تعالى ﴿خير ثواباً﴾ أي خير من يثيب على الإيمان والعمل الصالح. ﴿وخير عقباً[4]﴾ أي خير من يعقب أي يجزي بحسن العواقب

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ - بيان مآل المؤمنين كصهيب وسلمان وبلال، وهو الجنة ومآل الكافرين كأبي جهل وعقبة بن أبي معيط وهو النار.

٢ - استحباب قول من أعجبه شيء: ﴿ما شاء الله، لا قوة إلا بالله﴾ فإنه لا يرى فيه مكروهاً إن شاء الله.

---

(١) أنا: ضمير فصل وأقل. مفعول ثانٍ لترن وحذفت ياء المتكلم بعد نون الوقاية تخفيفاً.

(٢) (عسى) للرجاء وهو طلب الأمر القريب الحصول وأراد به هنا الدعاء لنفسه وعلى صاحبه الكافر المشرك.

(٣) الحسبان: مصدر كالغفران وهو هنا وصف لمحذوف تقديره: هلاكاً حسباناً أي: مقدّراً من الله تعالى، وقيل هو اسم جمع حسبانة أي: صاعقة، وقيل: اسم للجراد وهو محتمل لكل ما ذكر.

(٤) العقب: بمعنى العاقبة وقرىء: بضمتين عُقُب وقرىء بضم العين وسكون القاف بمعنى: عاقبة وهي آخرة الأمر وما يرجوه المرء من سعيه وعمله ولذا فسرت الآية بهو خير عاقبة لمن رجاه وآمن به، يقال: هذا عاقبة أمر فلان وعقباه وعقبه: أي آخره.

٣ ـ استجابة الله تعالى لعباده المؤمنين وتحقيق رجائهم فيه سبحانه وتعالى.

٤ ـ المخذول من خذله الله تعالى فإنه لاينصر أبداً.

٥ ـ الولاية بمعنى[1] الموالاة النافعة للعبد هي موالاة الله تعالى لا موالاة غيره.

٦ ـ الولاية بمعنى الملك والسلطان لله يوم القيامة ليست لغيره إذ الملك والأمر كلاهما لله تعالى.

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾

شـــرح الكلمـات:

المثل	: الصفة المعجبة.
هشيماً	: يابساً متفتتاً.
تذروه الرياح	: أي تنثره الرياح وتفرقه لخفته ويبوسته.
مقتدراً	: أي كامل القدرة لايعجزة شيء.
زينة الحياة الدنيا	: أي يتجمل بما فيها.
والباقيات الصالحات	: هي الأعمال الصالحة من سائر العبادات والقربات.
وخير أملًا	: أي ما يأمله الإنسان وينتظره من الخير.

معنى الآيات:

هذا مثل آخر مضروب أي مجعول للحياة الدنيا حيث اغتر بها الناس وخدعتهم فصرفتهم عن الله تعالى ربهم فلم يذكروه ولم يشكروه فاستوجبوا غضبه وعقابه.

---

(١) ﴿الولاية﴾: بفتح الواو: الموالاة، وبكسرها: الملك والسلطان.

قال تعالى: في خطاب رسوله محمد ﷺ: ﴿واضرب لهم﴾ أي لأولئك المغرورين بالمال والسلطان ﴿مثل الحياة الدنيا﴾ أي صفتها الحقيقية التي لا تختلف عنها بحال[1] ﴿كماء أنزلناه من السمـاء، فاختلط به نبات الأرض﴾ فَزَهَا وازدهر واخضرّ وأنظر، فأعجب أصحابه، وأفرحهم وسرهم ما يأملون منه. وفجأة أتاه أمر الله برياح لاحِفَة، محرقة، ﴿فأصبح هشيماً[2]﴾ أي يابساً متهشماً متكسراً ﴿تذروه الرياح﴾ هنا وهناك ﴿وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾ أي قادراً كامل القدرة، فأصبح أهل الدنيا مبلسين آيسين من كل خير.

وقوله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أمـلاً﴾ إنـه بعد أن ضرب المثل للحياة الدنيا التي غرت أبناءها فأوردتهم موارد الهلاك أخبر بحقيقة أخرى، يعلم فيها عباده لينتفعوا بها، وهي أن ﴿المال والبنون﴾ أو الأولاد[3] ﴿زينة الحياة الـدنيا﴾ لا غير أي يتجمـل بهما ساعة ثم يبيدان ويذهبان، فلا يجوز الاغترار بهما، بحيث يصبحـان همَّ الإنسـان في هذه الحياة فيصـرفـانـه عن طلب سعادة الآخرة بالإيمان وصالح الأعمال، هذا جزء الحقيقة في هذه الآية، والجزء الثاني هو أن ﴿الباقيات الصالحات﴾ والمراد بها أفعال البر وضروب العبادات ومنها سبحان الله،[4] والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، أي هذه ﴿خير ثواباً﴾ أي جزاءً وثماراً، يجنيه العبد من الكدح المتواصل في طلب الدنيا مع الإعراض عن طلب الآخرة، ﴿وخير أملاً﴾ يأمله الإنسان من الخير ويرجوه ويرغب في تحصيله.

---

(١) بعض الحكماء شبّه الحياة الدنيا بالماء للاتصالات الآتية:

١ـ الماء لا يستقر في موضع والحياة كذلك

٢ـ الماء يتغيّر والدنيا كذلك.

٣ـ الماء لا يبقى والدنيا كذلك.

٤ـ الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل والدنيا لا يدخلها أحد ويسلم من فتنها وآفاتها.

٥ـ الماء إذا كان بقدر كان نافعاً منبتا وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر.

وفي الصحيح (قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنّعه الله بما آتاه) رواه مسلم.

(٢) يقال: هشمه يهشمه إذا كسره وفتّه وهشِيم بمعنى: مهشوم فهو فعيل بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول، وهشم الثريد إذا فتته وبه سمي هاشم بن بن مناف وكان اسمه عمرو وفيه يقول عبدالله بن الزبعري:

عمر العُلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

(٣) قيل: في المال والبنين زينة الحياة الدنيا: لأنّ في المال جمالاً ونفعاً وفي البنين قوة ودفعاً والمثل مضروب لحقارة الدنيا وسرعة زوالها ولذا قيل: لا تعقد قلبك مع المال لأنه فيء ذاهب ولا مع النساء لأنها اليوم معك وغداً مع غيرك ولا مع السلطان لأنه اليوم لك وغداً لغيرك.

(٤) روى مالك في الموطأ: أن الباقيات الصالحات هنّ: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ - بيان حقارة الدنيا وسوء عاقبتها.

٢ - تقرير أن المال والبنين لا يعدوان كونهما زينة، والزينة سريعة الزوال وهما كذلك فلا يجوز الاغترار بهما، وعلى العبد أن يطلب ما يبقى على ما يفنى وهو الباقيات الصالحات من أنواع البر والعبادات من صلاة وذكر وتسبيح وجهاد. ورباط، وصيام وزكاة.

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات:

نُسير الجبال : أي تقتلع من أصولها وتصير هباءً منبثاً.

بارزة : ظاهرة إذ فنى كل ما كان عليها من عمران.

فلم نغادر : لم نترك منهم أحداً.

موعداً : أي ميعاداً لبعثكم أحياء للحساب والجزاء.

ووضع الكتاب : كتاب الحسنات وكتاب السيئات فيؤتاه المؤمن بيمينه والكافر بشماله.

مشفقين : خائفين.

ياويلتنا : أي ياهلكتنا احضري هذا أوان حُضُورك.

لا يغادر صغيرة : أي لا يترك صغيرة من ذنوبنا ولا كبيرة إلا جمعها عَدّاً.

ما عملوا حاضراً : مثبتاً في كتابهم، مسجلاً فيها.

معنى الآيات:

لما ذكر تعالى مآل الحياة الدنيا وأنه الْفَناء والزوال ورغَّب في الصالحات وثوابهاالمرجوايوم القيامة، ناسب ذكر نبذة عن يوم القيامة، وهو يوم الجزاء على الكسب في الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿ويوم نسير الجبال﴾ أي اذكر ﴿يوم نسير﴾ أي تقتلع[1] من أصولها وتصير هباءً منبثاً، ﴿وترى الأرض بارزة﴾ ظاهرة ليس علهيا شيء فهي قاع صفصف ﴿وحشرناهم﴾ أي جمعناهم من قبورهم للموقف ﴿فلم نغادر منهم[2] أحداً﴾ أي لم نترك منهم أحداً كائناً من كان، ﴿وعرضوا على ربك﴾ أيها الرسول صفاً وقوفاً أذلاء، وقِيلَ لهم توبيخاً وتقريعاً : ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة[3]﴾ لا مال معكم ولا سلطان لكم بل حفاة عراة غُرلاً[4]، جمع أغرل، وهو الذي لم يختتن.

وقوله تعالى: ﴿بل زعمتم[5]﴾ أي ادعيتم كذباً أنا لا نجمعكم ليوم القيامة، ولن نجعل لكم موعداً فها أنتم مجموعون لدينا تنتظرون الحساب والجزاء، وفي هذا من التوبيخ والتقريع ما فيه، وقوله تعالى في الآية ﴿ووضع الكتاب﴾ يخبر تعالى عن حال العرض عليه فقال: ﴿ووضع الكتاب[6]﴾ أي كتاب الحسنات والسيئات وأعطى كل واحدٍ كتابه فالمؤمن يأخذه بيمينه والكافر بشماله، ﴿فترى المجرمين﴾ في تلك الساعة ﴿مشفقين﴾ أي خائفين ﴿مما فيه﴾ أي في الكتاب من السيآت ﴿ويقولون: ياوليتنا[7]﴾ ندماً وتحسراً ينادون ياويلتهم وهي هلاكهم قائلين:

---

(١) هذا على قراءة تُسير بالتاء المضمومة للبناء للمفعول وقراءة الجمهور ﴿نُسير الجبال﴾ والفاعل هو الله تعالى، وقرىء أيضاً: تسير الجبال بفتح التاء مضارع سار يسير كقوله تعالى: ﴿وتسير الجبال سيراً﴾.

(٢) المغادرة الترك ومنه الغدر لأنه ترك الوفاء، وسمي الغدير من الماء غديراً لأنه ترك بعد السيل، ومنه غدائر المرأة وهو شعرها تضفره وتتركه خلفها

(٣) أخرج الحافظ أبو القاسم بن مندة في كتاب التوحيد له عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: (إن الله تبارك وتعالى ينادي يوم القيامة بصوت رقيع غير فظيع: يا عبادي أنا الله لا إله إلاّ أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين يا عبادي لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون احضروا حجتكم ويسروا جوابكم فإنكم مسؤولون محاسبون يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفاً على أنامل أقدامهم للحساب) تضمن هذا الحديث تفسيراً كاملاً لهذه الأيات.

(٤) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿يحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلاً) «غير مختونين».

(٥) هذا الخطاب لمنكري البعث والجزاء من أهل الكفر والشرك.

(٦) ﴿الكتاب﴾: اسم جنس يشمل كل الكتب التي يُعطاها العباد في المحشر.

(٧) الويلة: مؤنث الويل للمبالغة وهي سوء الحال والهلاك كما أنّث الدار على دارة للدلالة على سعة المكان، ونداء الويلة معناه: الدعـاء على أنفسهم بالهلاك لمشاهدتهم عظائم الأهوال وما ينتظرهم من صنوف العذاب نادوا ويلتهم طالبين حضورها.

﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة[1] ولا كبيرة ﴾ من ذنوبنا ﴿إلا أحصاها﴾ أي أثبتها عَدّاً.

وقوله تعالى: في آخر العرض ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ أي من خير وشر مثبتاً في كتابهم، وحوسبوا به، وجوزوا عليه ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ بزيادة سيئة على سيئاته أو بنقص حسنة من حسناته، ودخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرضها على مسامع المنكرين لها.

٢ ـ يبعث الانسان كما خلقه الله ليس معه شيء، حافياً عارياً لم يقطع منه غلفة الذكر.

٣ ـ تقرير عقيدة كتب الأعمال في الدنيا وإعطائها أصحابها في الآخرة تحقيقاً للعدالة الإلهية.

٤ ـ نفي الظلم عن الله تعالى وهو غير جائز عليه لغناه المطلق وعدم حاجته إلى شيء.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

شـــرح الكلمـات:

اسجدوا لآدم : أي حيّوه بالسجود له كما أمرتكم طاعة لي.

إلا إبليس : أي الشيطان أبى السجود ورفضه وهو معنى ﴿فسق عن أمر ربه﴾ أي

---

(١) أصغر الصغائر: النظر بغير قصد وأكبر الكبائر الشرك بالله تعالى ولا ضابط حق الكبيرة إلا أن هناك ضابطاً يستأنس به وهو: ما توعد عليه أو لعن عليه أو وضع حدّ له في الكتاب أو السنة فهو كبيرة.

خرج عن طاعته، ولم يكن من الملائكة، بل كان من الجن، لذا أمكنه أن يعصي ربه!

أفتتخذونه وذريته أولياء؟: الاستفهـام للاستنكـار، ينكر تعالى على بني آدم اتخاذ الشيطان وأولاده أولياء يطاعـون ويوالون بالمحبة والمناصرة، وهم لهم عدو، عجباً لحال بني آدم كيف يفعلون ذلك!؟.

بئس للظالمين بدلاً: قبح بدلاً طاعة إبليس وذريته عن طاعة الله ورسوله.

المضلين عضداً: أي ما كنت متخـذ الشياطين من الانس والجن أعـواناً في الخلق والتدبير، فكيف تطيعونهم وتعصونني.

موبقاً: أي وادياً من أودية جهنم يهلكون فيه جميعاً هذا إذا دخلوا النار، أما ما قبلها فالموبق، حاجز بين المشركين، وما كانوا يعبدون بدليل قوله: ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾.

مواقعوها: أي واقعون فيها ولا يخرجون منها أبداً.

ولم يجدوا عنها مصرفاً: أي مكاناً غيرها ينصرفون إليه لينجوا من عذابها.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في إرشاد بني آدم وتوجيههم إلى ما ينجيهم من العذاب ويحقق لهم السعادة في الدارين، قال تعالى في خطاب رسوله واذكر لَهُمْ ﴿إذ قلنا للملائكة﴾ وهم عبادنا المكرمون ﴿اسجدوا لآدم﴾ فامتثلوا أمرنا وسجدوا إلا إبليس. لكن ابليس الذي يطيعه الناس اليوم كان من الجن وليس من الملائكة لم يسجد، ففسق[1] بذلك عن أمرنا وخرج عن طاعتنا. ﴿أفتتخذونه﴾[2] أي أيصح منكم يابني آدم أن تتخذوا عدو أبيكم وعدو ربكم وعدوكم أيضاً ولياً توالونه وذريته[3] بالطاعة لهم والاستجابة لما يطلبون منكم[4] من أنواع الكفر والفسق ﴿بئس للظالمين﴾ أنفسهم ﴿بدلاً﴾ طاعة الشيطان وذريته وولايتهم عن

---

(١) الفسق: مشتق من: فسقت الرطبة: إذا خرجت من قشرتها، والفأرة من جحرها، وفسق العبد: خرج عن طاعة ربه متجاوزاً الطاعة إلى المعصية، فكل من ترك واجباً وفعل حراماً فقد فسق بذلك عن طاعة ربه أي خرج عنها.

(٢) الاستفهام للتوبيخ والانكار، وذرية الشيطان بيّنت السنة كيفية وجودهم فقد صح عن النبي ﷺ قوله: (لاتكن أوّل من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فيها باض الشيطان وفرّخ)، فهذا دال على أن للشيطان ذرية من صلبه.

(٣) في مسلم: ﴿أنّ للصلاة شيطاناً يسمى خنزب مهمته الوسوسة فيها) وروى الترمذي أن للوضوء شيطاناً يسمى الولهان يوسوس فيه.

(٤) روى مسلم رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ إن الشيطان يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول: ما صنعت شيئا قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرّقت بينه وبين أهله قال: فيدنيه أو قال: فيلتزمه ويقول: نعم أنت!!).

طاعة الله ورسوله وولايتهما.

وقوله تعالى: ﴿ما أشهدتهم[1] خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ يخبر تعالى بأنه المنفرد بالخلق والتدبير ليس له وزير معين فكيف يُعْبَدُ الشيطان وذريته، وأنا الذي خلقتهم وخلقت السموات والأرض[2] وخلقت هؤلاء الذين يعبدون الشيطان، ولم أكن ﴿متخذ المضلين﴾ وهم الشياطين من الجن والإنس الذين يضلون عبادنا عن طريقنا الموصل إلى رضانا وجنتنا، أي لم أكن لأجعل منهم معيناً لي يعضدني ويقوي أمري وخلاصة ما في الآية أن الله تعالى ينكر على الناس عبادة الشياطين وهي طاعتهم وهم مخلوقون وهو خالقهم وخالق كل شيء.

وقوله تعالى: ﴿ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم﴾ أي أذكر يارسولنا لهؤلاء المشركين المعرضين عن عبادة الله إلى عبادة عدوه الشيطان، أذكر لهم يوم يقال لهم في عرصات القيامة ﴿نادوا شركائي الذين﴾ أشركتموهم في عبادتي زاعمين أنهم يشفعون لكم في هذا اليوم فيخلصونكم من عذابنا.

قال تعالى ﴿فدعوهم[3]﴾ يافلان!! يافلان... ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ إذ لا يجرؤ أحد ممن عبد من دون الله أن يقول رب هؤلاء كانوا يعبدونني. قال تعالى: ﴿وجعلنا بينهم موبقاً[4]﴾ أي حاجزاً وفاصلاً من عداوتهم لبعضهم. وحتى لا يتصل بعضهم ببعض في عرصات القيامة. وقوله تعالى: ﴿ورأى المجرمون النار﴾ أي يؤتى بها تُجَرُّ بالسلاسل حتى تبرز لأهل الموقف فيشاهدونها وعندئذ يظن[5] المجرمون أي يوقنوا ﴿أنهم مواقعوها﴾ أي داخلون فيها. ﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً[6]﴾ أي مكاناً ينصرفون إليه لأنهم محاطون بالزبانية، والعياذ بالله من النار وعذابها.

---

(١) أي: ما أحضرتهم لأستعين بهم على خلق السموات والأرض ولا أحضرت بعضهم لأستعين به على خلق البعض الآخر.

(٢) في الآية رد على أهل الضلال كافة من شيطان وكاهن ومنجم وطبعيّ وملحد إذ الجميع مخلوق مربوب والله خالق كل شيء ومليكه وربّه ومدبّره.

(٣) أي: امتثلوا الأمر ودعوهم فلم يستجيبوا لهم.

(٤) فسّر الموبق ابن عباس رضي الله عنهما: بالحاجز، وفسره أنس بن مالك رضي الله عنه بواد في جهنم من قيح ودم، وفسُر بالمهلك والتفسير بالمهلك يدخل فيه كل ماذكر، ومن الجائز أن يتعدد الحاجز ويكون أنواعاً منها: عداوة بعضهم لبعض فإنها حاجز والنار نفسها أعظم موبق ولعلها هي المراد بالموبق.

(٥) ﴿ظنوا﴾ أي: أيقنوا إذ يطلق الظن ويراد به اليقين وهو كثير في القرآن الكريم. قال الشاعر.

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجّج سراتهم في الفارسيّ المسرد

(٦) ﴿مصرفا﴾: أي: مهرباً لإحاطتها بهم من كل جانب ولا ملجأ ولا معدلا.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - تقرير عداوة إبليس وذريته لبني آدم.

٢ - العجب من بني آدم كيف يطيعون عدوهم ويعصون ربهم!!

٣ - لا يستحق العبادة أحد سوى الله عز وجل لأنه الخالق لكل مبعود مما عُبِدَ من سائر المخلوقات.

٤ - بيان خزي المشركين يوم القيامة حيث يطلب إليهم أن يدعوا شركاءهم لاغاثتهم فيدعونهم فلايستجيبون لهم.

٥ - جمع الله تعالى المشركين وماكانوا يعبدون من الشياطين في موبق واحد في جهنم وهو وادي من شر أودية جهنم وأسوأها.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ
ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟
إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ
ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ
لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ
إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ
وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ
ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ
ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾

شرح الكلمات :

صرفنا : أي بيّنا وكررنا البيان.

من كل مثل : المثل الصفة المستغربة العجيبة.

جدلاً : أي مخاصمة بالقول.

سنة الأولين : أي العذاب بالإبادة الشاملة والاستئصال التام.

قبلا : عياناً ومشاهدة.

ليدحضوا به الحق : أي يبطلوا به الحق.

هزواً : أي مهزوءاً به.

أكنة : أغطية.

وفي آذانهم وقراً : أي ثقلاً فهم لا يسمعون.

موئلاً : أي مكاناً يلجأون إليه.

لمهلكهم موعداً : أي وقتاً معيناً لإهلاكهم.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في بيان حجج الله تعالى على عباده ليؤمنوا به ويعبدوه وحده فينجوا من عذابه ويدخلوا دار كرامته فقال تعالى : ﴿ولقد صرّفنا[1] في هذا القرآن من كل مثل﴾ أي ضربنا فيه الأمثال الكثيرة وبيّنا فيه الحجج العديدة، ﴿وصرفنا فيه﴾ من الوعد والوعيد ترغيباً وترهيباً، وقابلوا كل ذلك بالجحود والمكابرة، ﴿وكان الإنسان[2] أكثر شيء جدلاً﴾ فأكثر هم الإنسان يصرفه في الجدل والخصومات حتى لا يذعن للحق ويسلم به ويؤديه إن كان عليه. هذا ما دلت عليته الآية الأولى : (٥٤) أما الآية الثانية فقد أخبر تعالى فيها أن الناس مامنعهم ﴿أن يؤمنوا إذ جاءهم

---

(١) قال القرطبي : يحتمل أي : هذا الكلام وجهين : أحدهما ماذكره لهم من العبر والقرون الخالية والثاني : ما أوضحه لهم من دلائل الربوبية وما في التفسير لم يخرج عن هذا فتأمّله.

(٢) يحتمل اللفظ الكافر لقوله تعالى : ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾ ويحتمل المسلم إلاّ أنه في الكافر أظهر وأكثر وروي مسلم عن علي رضي الله عنه (أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة فقال : ألا تصلون؟ فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك ثمّ سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول : ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾.

الهدى﴾ وهو بيان طريق السعادة والنجاة بالإيمان وصالح الأعمال بعد التخلي عن الكفر والشرك[1] وسوء الأعمال ﴿ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين﴾ بعذاب الاستئصال والإبادة الشاملة، ﴿أو يأتيهم﴾ عذاب يوم القيامة معاينة[2] وهو معنى قوله تعالى: ﴿أو يأتيهم العذاب قبلاً﴾[3] وحينئذ لا ينفع الإيمان. وقوله تعالى: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾ أي دعاة هداة يبشرون من آمن وعمل صالحاً بالجنة وينذرون من كفر، وعمل سوءاً بالنار. فلم نرسلهم جبارين ولم نكلفهم بهداية الناس أجمعين، لكن الذين كفروا يتعامون عن هذه الحقيقة ويجادلون ﴿بالباطل ليدحضوا به الحق﴾. ﴿واتخذوا﴾ آيات الله وحججه ﴿وما أنذروا﴾ به من العذاب اللازم لكفرهم وعنادهم اتخذوه سخرية وهزءاً يهزءون به ويسخرون منه وبذلك أصبحوا من أظلم الناس. وهو ما قررته الآية (٥٧) إذ قال تعالى فيها: ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه﴾ أي من الإجرام والشر والشرك. اللهم إنه لا أحد أظلم من هذا الإنسان الكافر العنيد. ثم ذكر تعالى سبب ظلم وإعراض ونسيان هؤلاء الظلمة المعرضين الناسين وهو أنه تعالى حسب سنته فيمن توغل في الشر والظلم والفساد يجعل على قلبه كناناً يحيطه به فيصبح لا يفقه شيئاً. ويجعل في أذنيه ثقلاً فلا يسمع الهدى. ولذا قال لرسوله ﷺ: ﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً﴾ أي بعد ما جعل على قلوبهم من الأكنة وفي آذانهم من الوقر ﴿أبداً﴾.

وقوله تعالى: ﴿وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا﴾ أي لو يؤاخذ هؤلاء الظلمة المعرضين ﴿لعجل لهم العذاب﴾، ولكن مغفرته ورحمته تأبيان ذلك وإلا لعجل لهم العذاب فأهلكهم أمامكم وأنتم تنظرون. ولكن ﴿لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً﴾[4] يئلون إليه ولا ملجأ يلجأون إليه. ويرجح أن يكون ذلك يوم بدر لأن السياق في الظلمة المعاندين المحرومين من هداية الله كأبي جهل وعقبة ابن أبي معيط والأخنس بن شريق، هذا أولاً. وثانياً قوله تعالى: ﴿وتلك القرى[5] أهلكناهم لما ظلموا﴾ يريد أهل القرى من قوم هود وقوم صالح وقوم لوط.

---

(١) أي: بواسطة القرآن والرسول ﷺ.

(٢) أي: عياناً، وفسّره بعضهم بعذاب السيف يوم بدر.

(٣) قراءة الجمهور: (قبلا) بكسر القاف أي: المقابل الظاهر، وقرىء (قُبلا) بضم القاف والباء وهو جمع قبيل أي: يأتيهم العذاب أنواعاً متعدّدة.

(٤) ﴿موئلا﴾: أي: منجىً أو محيصاً يقال: وأل يئل وألاً ووؤولاً أي: لجأ تقول العرب: لا والت نفسه أي: لا نجت ومنه قول الشاعر:

لا وألت نفسك خليتها للعامريين ولم تكلَم

(٥) تلك: مبتدأوأهلكناهم الخبر، ويصح أن تكون تلك في محل نصب والعامل: أهلكنا نحو: زيداً ضربته.

﴿وجعلنا لمهلكهم موعداً﴾ أي لهلاكهم موعداً محدداً فكذلك هؤلاء المجرمون من قريش، وقد أهلكهم ببدر ولعنهم إلى الأبد.

هداية الآيات

١ - لقد أعذر الله تعالى إلى الناس بما يبين في كتابه من الحجج وما ضرب فيه من الأمثال.

٢ - بيان غريزة الجدل في الإنسان والمخاصمة.

٣ - بيان مهمة الرسل وهي البشارة والنذارة وليست إكراه الناس على الإيمان.

٤ - بيان عظم ظلم من يُذَكَّرُ بالقرآن فيعرض ويواصل جرائمه ناسياً ما قدمت يداه.

٥ - بيان سنة الله في أن العبد إذا واصل الشر والفساد يحجب عن الإيمان والخير ويحرم الهداية أبداً حتى يهلك كافراً ظالماً فيخلد في العذاب المهين.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ

مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾

شـرح الكلمـات :

وإذ قال موسى لفتاه : أي أذكر إذ قال موسى بن عمران نبي بني إسرائيل لفتاه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام.

مجمع البحرين : أي حيث التقى البحران بحر فارس وبحر الروم.

حقبا : الحقب الزمن وهو ثمانون سنة والجمع أحقاب.

سبيله في البحر سرباً : أي طريقه في البحر سرباً أي طريقاً كالنفق.

فلما جاوزا : أي المكان الذي فيه الصخرة ومنه اتخذ الحوت طريقه في البحر سرباً.

في البحر عجباً : أي عجباً لموسى حيث تعجب من إحياء الحوت واتخاذه في البحر طريقاً كالنفق في الجبل

قصصاً : أي يتتبعان آثار أقدامهما.

عبداً من عبادنا : هو الخضر عليه السلام.

مما علمت رشداً : أي ما هو رشاد إلى الحق ودليل على الهدى.

ما لم تحط به خبراً : أي علماً.

ولا أعصي لك أمراً : أي انتهى الى ما تأمرني به وإن لم يكن موافقاً هواي.

معنى الآيات :

هذه قصة موسى[1] مع الخضر عليهما السلام وهي تقرر نبوة محمد ﷺ وتؤكدها. إذ مثل هذا القصص الحق لايتأتى لأحد أن يقصه مالم يتلقه وحياً من الله عز وجل. قال تعالى: ﴿وإذ قال موسى﴾ أي أذكر يارسولنا تدليلاً على توحيدنا ولقائنا ونبوتك. إذ قال موسى بن عمران نبينا إلى بني إسرائيل لفتاه[2] يوشع بن نون ﴿لا أبرح﴾ أي سائراً ﴿حتى أبلغ مجمع[3] البحرين﴾ حيث أرشدني ربي إلى لقاء عبدٍ هناك من عباده هو أكثر مني علماً حتى

---

(١) ذهب نوف البكالي إلى أنّ موسى هذا هو موسى بن منشا بن يوسف عليه السلام وردّ هذا عليه ابن عباس رضي الله عنهما ردًّا عنيفا كما في البخاري فالصحيح أنه موسى بن عمران رسول الله إلى بني اسرائيل.

(٢) اختلف في فتى موسى مَنْ هو؟ قيل: إنه كان شاباً يخدمه ولذا أطلق عليه لفظ الفتى على جهة حسن الأدب، قال ابن العربي. ظاهر القرآن أنه عبد وما دام صح الحديث بأنه يوشع بن نون فلا حاجة إلى البحث والتنقيب.

(٣) أي ملتقاهما. وهما بحر الأردن وبحر القلزم على الراجح الصحيح.

اتعلم منه علماً أزيده على علمي، ﴿أو أمضي حقباً﴾[1] أي أواصل سيري زمناً طويلاً حتى أظفر بهذا العبد الصالح لأتعلم عنه. قوله تعالى: ﴿فلما بلغا مجمع بينهما﴾ أي بين البحرين وهما بحر الروم وبحر فارس عند باب المندب حيث التقى البحر الأحمر والبحر الهنـدي. أو البحر الأبيض والأطلنطي عند طنجة والله أعلم بأيهما أراد. وقوله ﴿نسيا حوتهما﴾ أي نسي الفتى الحوت، إذ هو الذي كان يحمله، ولكن نسب النسيان إليهما جرياً على المتعارف من لغة العرب[2]، وهذا الحوت قد جعله الله تعالى علامة لموسى على وجود الخضر حيث يفقد الحوت، إذ القصة كما في البخاري تبتدىء بأن موسى خطب يوماً في بنى إسرائيل فأجاد وأفاد فأعجب به شاب من بني إسرائيل فقال له: هل يوجد من هو أعلم منك ياموسى؟ فقال: لا. فأوحى إليه ربه فوراً بلى عبدنا خضر، فتاقت نفسه للقياه للتعلم عنه، فسأل ربه ذلك، فأرشده إلى مكان لقياه وهو مجمع البحرين، وجعل له الحوت علامة فأمره أن يأخذ طعامه حوتاً وأعلمه أنه إذا فقد الحوت فثم يوجد عبدالله خضر ومن هنا لما بلغا مجمع البحرين واستراحا فنام موسى[3] والفتى شبه نائم وإذا بالحوت يخرج من المكتل «وعاء» ويشق طريقه إلى البحر فينجاب عنه البحر فيكون كالطاق أو النفق آية لموسى. ويغلب النوم على يوشع فينام فلما استراحا قاما مواصلين سيرهما ونسي الفتى وذهب من نفسه خروج الحوت من المكتل ودخوله في البحر لغلبة النوم فلما مشيا مسافة بعيدة وشعرا بالجوع وقد جاوزا المنطقة التي هي مجمع البحرين[4] قال موسى للفتى ﴿آتنا غداءنا﴾[5] وعلل ذلك بقوله: ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ أي تعباً. هنا قال الفتى لمـوسى ما قصَّ الله تعـالى: قال مجيبـاً لمـوسي ﴿أرأيت﴾ أي أتذكر ﴿إذ أوينا إلى الصخرة﴾ التي استراحا عندها ﴿فإني نسيت الحوت﴾ وقال كالمعتذر، ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكـره﴾[6] واتخذ سبيله﴾ أي طريقه ﴿في البحر عجباً﴾ أي حيي بعد موت

---

(١) قال النحاس: الحقب: زمان من الدهر مبهم غير محدود وجمعه أحقاب وورد الحقب مقدراً بثمانين سنة، إلاّ أنه في قول موسى هذا مراده الأوّل وهو زمن غير محدود.

(٢) نحو قوله: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ مع أنه لا يخرج إلاّ من البحر الملح ونحو قوله: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ مع العلم أن الرسل من الإنس فقط.

(٣) في البخاري: أن موسى عليه السلام قال ليوشع لا أكلفك إلاّ أن تخبرني حيث يفارقك الحوت قال الفتى: ما كلّفت كثيراً.

(٤) هذا يُرجح أن يكون البحران: نهر الأردن وبحيرة طبريّة.

(٥) في الآية دليل على وجوب حمل الزاد في السفر ففي هذا رد على المتصوفة الذين يخرجون بلا زاد بدعوى التوكل ثمّ هم يسـألـون النـاس، وشـاهـد هذا آية البقرة إذ نزلت في أناس من اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون فنزل قوله تعالى: ﴿وتزوّدوا. .﴾ الآية.

(٦) أن: وما دخلت عليه تسبك بمصدر فيقال: وما أنساني ذكره إلا الشيطان.

ومشى حتى انتهى إلى البحر وانجاب له البحر فكان كالسرب فيه أي النفق فأجابه موسى بما قص تعالى: ﴿قال ذلك ما كنا نبغ﴾ وذلك لأن الله تعالى جعل لموسى فقدان الحوت علامة على مكان الخضر الذي يوجد فيه ﴿فارتدا﴾ أي رجعا ﴿على آثارهما قصصا﴾ أي يتتبعان آثار أقدامهما ﴿فوجدا﴾ خضراً كما قال تعالى: ﴿فوجدا عبداً[1] من عبادنا﴾ وهو خضر ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ أي نبوة ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ وهو علم غيب خاص به ﴿قال له موسى﴾ مستعطفاً له ﴿هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً﴾ أي مما علمك الله رشداً أي رشاداً يَدُلّني على الحق وتحصل لي به هداية فأجابه خضر بما قال تعالى: ﴿قال إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ يريد أنه يرى منه أموراً لا يقره عليها وخضر لا بد يفعلها فيتضايق موسى لذلك ولا يطيق الصبر، وعلل له عدم استطاعته الصبر بقوله ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾ أي علماً كاملاً. فأجابة موسى وقد صمم على الرحلة لطلب العلم مهما كلفه الثمن فقال ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً﴾ أي سأنتهي إلى ما تأمرني وإن لم يكن موافقاً لما أحب وأهوى.

هداية الآيات:

١ - عتب الله تعالى على رسوله موسى عليه السلام عندما سئل هل هناك من هو أعلم منك فقال لا وكان المفروض أن يقول على الأقل الله أعلم. فعوقب لذلك فكلف هذه الرحلة الشاقة.

٢ - استحباب الرفقة في السفر، وخدمة التلميذ للشيخ، إذ كان يوشع يخدم موسى بحمل الزاد.

٣ - طروء النسيان على الانسان مهما كان صالحاً.

٤ - مراجعة الصواب بعد الخطأ خير من التمادي على الخطأ ﴿فارتدا على آثارهما قصصا﴾.

٥ - تجلى قدرة الله تعالى في إحياء الحوت بعد الموت، وانجياب الماء عليه حتى كان كالطاق فكان للحوت سرباً ولموسى وفتاه عجباً. وبه استدل موسى أي بهذا العجب على مكان خضر فوجده هناك.

٦ - استحباب طلب المزيد من العلم مهما كان المرء عالماً وهنا أورد الحديث التالي وهو خير من قنطار ذهباً لمن حفظه وعمل به وهو قول ابن عباس رضي الله عنه قال سأل موسى ربه: قال رب أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني، قال: فأي عبيدك أقضى؟ قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى، قال: أي رب أي عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى

---

(١) في البخاري: (فوجدا خضراً على طنْفسة خضراء على كبد البحر مسجىً بثوبه قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت رأسه فسلّم عليه موسى فكشف عن وجهه فقال: هل بأرضك من سلام؟ من أنت؟ قال: أنا موسى..) الخ.

علم نفسه عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى. وللأثر بقية ذكره ابن جرير عند تفسير هذه الآيات.

قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

شــرح الكلمات:

ذكراً : أي بياناً وتفصيلاً لما خفي عليك.

لقد جئت شيئاً إمراً : أي فعلت شيئاً منكراً.

لا ترهقني : أي لا تغشني بما يعسر علي ولا أطيق حمله فتضيق علي صحبتي إياك.

نفساً زكية : أي طاهرة لم تتلوث روحها بالذنوب.

بغير نفس : أي بغير قصاص.

نكراً : الأمر الذي تنكره الشرائع والعقول من سائر المناكر! وهو المنكر الشديد النكارة.

معنى الآيات:

مازال السياق الكريم في الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام والعالم الذي أراد أن يصحبه لطلب العلم منه وهو خضر. قوله تعالى: ﴿قال﴾ أي خضر ﴿فإن اتبعتني﴾ مصاحباً لي لطلب العلم ﴿فلا تسألني[1] عن شيء﴾ أفعله مما لا تعرف له وجهاً شرعياً ﴿حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ أي حتى أكون أنا الذي يبين لك حقيقته وما جهلت منه. وقوله تعالى: ﴿فانطلقا﴾ أي

(١) في قول موسى: ﴿هل أتبعك﴾ من حسن الأدب والتلطف في السؤال وتواضع الطالب للشيخ الشيء الكثير، وفي الآية دليل على أن المتعلم تابع للعالم وإن تفاوتت مرتبتهما، وما كان موسى إلا أفضل من خضر ولكنه بحكم أنه تابع للخضر العالم تواضع في لطف.

بعد رضا موسى بمطلب خضر انطلقا يسيران في الأرض[1] فوصلا ميناء من الموانى البحرية، فركبا سفينة كان خضر يعرف أصحابها فلم يأخذوامنهما أجر الإركاب فلما أقلعت السفينة، وتوغلت في البحر أخذ خضر فأسا فخرق السفينة، فجعل موسى يحشو بثوب له الخرق ويقول: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها﴾ على أنهما حملانا بدون نَوْل ﴿لقد جئت شيئاً إمراً﴾ أي أتيت يا عالم منكراً فظيعاً فأجابه خضر بما قص تعالى: ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ فأجاب موسى بما ذكر تعالى عنه: ﴿قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً﴾ أي لا تعاقبني بالنسيان فإن الناسي لا حرج عليه. وكانت هذه من موسى[2] نسياناً حقاً ولا تغشني بما يعسر علي ولا أطيقه فاتضايق من صحبتي إياك.

قال تعالى: ﴿فانطلقا﴾ بعد نزولهما من البحر إلى البر فوجدا غلاماً جميلاً وسيماً يلعب مع الغلمان فأخذه خضر جانباً وأضجعه[3] وذبحه فقال له موسى بما أخبر تعالى عنه: ﴿أقتلت نفساً زكية بغير نفس﴾ زاكية طاهرة لم يذنب صاحبها ذنباً تتلوث به روحه ولم يقتل نفساً يستوجب بها القصاص ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ أي أتيت منكراً عظيماً بقتلك نفساً طاهرة لم تذنب ولم تكن هذه نسياناً من موسى بل كان عمداً إذ لم يطق فعل منكر كهذا لم يعرف له[4] وجهاً ولا سبباً.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ ـ جواز الاشتراط في الصحبة وطلب العلم وغيرهما للمصلحة الراجحة.

٢ ـ جواز ركوب السفن في البحر.

٣ ـ مشروعية إنكار المنكر على من علم أنه منكر.

٤ ـ رفع الحرج عن الناس.

٥ ـ مشروعية القصاص وهو النفس بالنفس.

---

(١) في البخاري: (فانطلقا يسيران على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول أي «أجرة»).

(٢) في البخاري: (قال رسول الله ﷺ وكانت الأولى من موسى نسياناً قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة في البحر فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله إلاّ مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر). حرف السفينة: طرفها، وحرف كل شيء طرفه.

(٣) في الترمذي: (أنه أخذ رأسه بيده فاقتلعه فقتله) وفي بعض الروايات (أنه أخذ حجراً فضرب بها رأس الغلام فقتله) وما في التفسير أصح وأوضح.

(٤) سيأتي بيان علّة القتل وأنها حق والقتل كان بإذن الله تعالى وما مات أحد ولا قتل إلاّ بإذن الله تعالى.